

الباب الثاني

الباب الثاني

التربية الإسلامية :-

- الفصل العاشر: التربية الإسلامية بتنمية العقيدة الدينية.
- الفصل الحادي عشر: التربية الإسلامية وتنمية القيم الخلقية.
- الفصل الثاني عشر: التربية الإسلامية بالتنمية العقلية.
- الفصل الثالث عشر: التربية الإسلامية بتنمية القيم الإجتماعية.
- الفصل الرابع عشر: التربية الإسلامية بتنمية القيم النفسية.
- الفصل الخامس عشر: التربية الإسلامية بالتنمية البدنية.

التربية الإسلامية

مقدمة

التربية الإسلامية

التربية الإسلامية هي تنشئة الطفل وتكوينه إنسانا من جميع نواحيه المختلفة ، من الناحية الجسمية ، والعقلية ، والروحية ، والأخلاقية ، فى ضوء المبادئ التى جاء بها الإسلام ، وفى ضوء وأساليب وطرق التربية التى تبنيها (١) .

من هذا التعريف للتربية الإسلامية وغيره من التعريفات الأخرى ، نرى أن الإسلام يقدم لنا منهجا تربويا متكاملًا ، تجد فيه الإنسانية علاجًا شافيًا لمشكلاتها ، تنتشلها من طريق اليأس والتهيب والشقاء ، وتنتقل بها إلى طريق العزة والكرامة والمحبة والهناء ، فهو يهدف إلى تربية النشء على الإيمان بالله وطاعته والخضوع له وحده . وهو الذى يرى الإنسان على أن يُحَكَّم شريعة الله فى جميع أعماله وتصرفاته ، ثم لا يجد حرجًا فيما حكم الله ورسوله ، بل ينقاد مطيعًا لأمر الله ورسوله . قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِلُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

ولما كان الإسلام هو المنهج الربانى المتكامل المواتى لفطرة الإنسان، والذى أنزله الله لتربية وتنمية الشخصية الإنسانية حتى تصبح شخصيته متزنة كاملة . ليُصنِّح خير نموذج على الأرض ، يحقق العدالة الإلهية فى المجتمع الإسلامى . وذلك

(١) مفاد بلجن "التربية الأخلاقية الإسلامية" القاهرة ، مكتبة الخالجي ١٩٧٣ ، ص ٥٤ .

(٢) سورة النساء : ٦٥ .

عن طريق التربية الإسلامية التي تغرس في الإنسان العزة والكرامة . بل الاستماتة في سبيلها ، مهما أحاطت به الشدائد ، أو أبعدته عنها المغريات : ﴿ وَنَالِ الْعِزَّةَ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

وحيث أن الدين الإسلامي هو دين التربية فإنه يهتم بتنشئة الأطفال وتكوينهم تكويناً متكاملًا عن طريق بناء شخصياتهم وتنميتها ، وذلك بإكسابهم خبرات جديدة من خلال التربية الإسلامية التي تساعدهم على تعديل سلوكهم ، وتقويم إنحرافهم وانتشالهم من الهوان والضياع ، بعد أن ضيعتهم فلسفات التربية الغربية التي كان من نتيجتها ما نسمعه من جرائم الأحداث وتعاطيهم المخدرات ، ومن تدخين جماعي في معسكرات الأطفال في بعض دول أوروبا ومقاطعات أمريكا ، ومن جرائم جنسية يندى لها الجبين .

"ونسال أنفسنا أى ضياع للأطفال والطفولة يفوق هذا الضياع ؟ اللهم أن يكون ضياع الأطفال غير الشرعيين ، وهو بلاء آخر من ثمرات هذا العصر ، فقد بلغ عدد هؤلاء في أوائل الخمسينات نصف مليون طفل في إنجلترا وحدها .. نصف مليون طفل غير شرعي من الناقمين على الحياة وعلى المجتمع الذي تركهم فلقين تائهين . لا يعرفون لهم أصلا ، ولا إتماءً ، ولا أهلاً (٢) .

إن المؤسسات التربوية عندما خذلتها وسائل العلاج التقليدية بأساليبها المستوردة من المجتمعات الغربية ؛ بدأت تبحث لنفسها عن أساليب مؤثرة تسعفها في علاج المشكلات بشتى أنواعها إلى أن وجدت ضالتها المنشوبة واقتنعت

(١) سورة العنكبوت : ٨ .

(٢) عيد الرحمن المحتوى ، مصدر سابق ، ص ٧ .

بالمنهج الإسلامى ، الذى يعتمد على التربية الإسلامية ، فهى الوسيلة الوحيدة القادرة على إعادة التوازن إلى المجتمع الذى اضطرب واهتز فهى تنمى فكر الإنسان، وتنظم سلوكه وتُعدِّله ، وتُحرِّك فى نفسه الأحاسيس والمشاعر الإيجابية وتغرس العواطف الجديرة بأنه تدفعه إلى السلوك الذى نظمت الشريعة الإسلامية قواعده وضوابطه ، وعن طريقه تصل إلى تنمية شخصية الإنسان من جميع جوانبها فى إنسجام وتكامل .

والمؤسسات التربوية عندما تمارس التربية الإسلامية فى التنشئة الإجتماعية فإنها بذلك تحمينا من أساليب المنهج الغربى الذى لا يناسب مجتمعاتنا الإسلامية فأصاليب المنهج الإسلامى الشرقى النابع من الدين الإسلامى تعتمد فى ذلك على مصدرين هامين هما القرآن والسنة وهما مصدرا الدين الإسلامى نفسه .

وقد حاول المؤلف تصنيف أساليب المنهج الإسلامى الذى نقصد به التربية الإسلامية إلى مجموعة أساليب تنموية مناسبة لشخصية الإنسان بمكوناتها البنائية والوظيفية يوجزها فيما يلى :-

- ١- الإسلام وتنمية العقيدة الدينية .
- ٢- الإسلام وتنمية القيم الخلقية .
- ٣- الإسلام وتنمية الفكر والعقل .
- ٤- الإسلام وتنمية العلاقات والقيم الإجتماعية .
- ٥- الإسلام وتنمية الجوانب والإتجاهات النفسية .
- ٦- الإسلام وتنمية الجوانب الصحية والجسمية .

وفى الصفحات التالية يوضح المؤلف بالتفصيل كل نوع من هذه الأنواع بأساليبه الفرعية المختلفة ..

١- الإسلام وتنمية العقيدة الدينية

- أ- التربية الإسلامية بالقرآن الكريم .
- ب- التربية الإسلامية بإتباع الرسول (ﷺ) .
- ج- التربية الإسلامية بدروس التوحيد .
- د- تنمية العقيدة الدينية عن طريق دروس الفقه .

١- التربية الإسلام وتنمية العقيدة الدينية

المقصود بتنمية العقيدة الدينية التسامى بروح الإنسان إلى الأفق الأعلى من خلال القرآن ، والتوحيد ، والفقه ، والتفسير ، والسيرة النبوية ، والثقافة الإسلامية حتى نربى الأجيال على الإسلام وعلى تحقيق العبودية لله جل جلاله بكل ما فى هذه الغاية من معنى ومدلول ، وبكل ما تؤدي إليه من نتائج فى الحياة والعقيدة والعقل والتفكير...

العبودية لله هى التلقى من الله وحده فى أمر الدنيا والآخرة ، ثم هى الصلة الدائمة بالله فى هذا كله ، وهذه الصلة فى الحقيقة هى منهج التربية كله ، تتفرع منه جمع التفريعات وتعود فى النهاية كلها إليه ... والعبودية لله والصلة الدائمة به تتم عن طريق العبادة ... والعبادة لا تقتصر على اللحظات القصيرة التى تُشغلها مناسك التعبد ، وما كان هذا هو القصد من الآية الكريمة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١) . وإلا فما قيمة لحظات عابرة فى صفحة النفس وفى صفحة الكون ، ولا تترك لها أثرا وتضيع فى الفضاء ، إنما قيمتها أن تكون منهج حياة يشمل كل الحياة قيمتها أن تكون خطة سلوك ، وخطة عمل ، وخطة فكر ، وخطة شعور ، قائمة كلها على منهج واضح ، يتبين فيه - فى كل لحظة - ما ينبغى ومالا ينبغى أن يكون (٢) .

(١) سورة الذاريات : ٥٦ .

(٢) محمد قطب . منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٣٨ .

وفيما يلي أساليب تنمية العقيدة الدينية التي تمثل القاعدة الرئيسية للتربية الإسلامية :-

أ- التربية الإسلامية بالقرآن الكريم :

العلاج بالقرآن غايته القريبة تلاوته ، وحسن فهمه ، وتطبيق أساليبه وهذا فيه العبودية والطاعة لله ، والإهداء بكلامه ، والخوف منه وتنفيذ أوامره ، والخشوع له .

ويقول الإمام الفخر الرازي (١) : " أعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية ، وشفاء أيضا من الأمراض الجسمية ، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر ، ذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان : الاعتقادات الباطلة والعادات المذمومة ، وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من المفسد والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض ، فثبت أن القرآن شفاء لهذه الأمراض أن قراءته على المريض أو تعليق المكتوب من الآيات عليه ، وما أشبه ذلك ليس شفاءً كما يفهم ذلك بعض الجهال . وإنما معنى الشفاء أنه جاء فيه من المبادئ التي تكفي لوقاية الإنسان من تلك الأمراض إذا ألتمز بها الناس ظاهرا وباطنا (٢) .

أي أن دروس القرآن لو حققت غاياتها لكانت من أفضل الوسائل لتحقيق الهدف الأسمى للعلاج الإسلامي (٣) .

والمربي الإسلامي الذي يُطبق المنهج الإسلامي بالتربية القرآنية للنشء يستطيع أن يُحَبِّبُ إليهم دراسة القرآن ، ويسأعدهم على فهمه ، عن طريق الأنشطة

(١) تفسير الكبير ، الإمام الفخر الرازي ، الطبعة البهية المصرية ، القاهرة ٢١ ٣٤

(٢) در مفاد بالجب - التربية الأخلاقية ، مصدر سابق ، ص ١١١

(٣) عبد الرحمن النحلاوي أصول التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١١٥

والبرامج الدينية التي يستعين فيها بمن يختارهم من رجال الدين المتخصصين المثقفين القادرين على أداء هذه المهمة الجليظة . على أن يراعى فى هذه الأنشطة مناسبتها لأعمارهم ومستوياتهم العقلية حيث يتم ذلك بصورة سهلة مبسطة وبطريقة جذابة شيقة ، حيث أن التربية بالقرآن أنسب أساليب العلاج الإسلامى للانحرافات المختلفة ، وبذلك يهتدون إلى الطريق المستقيم فيعبدون الله ويطيعونه ويهتدون بكلامه ، ويخافون منه ، ويخشعون له . وَيَتَّقُونَ أوامره ، وبعد ذلك يتم علاج إنحرافهم وَيَقْوَمُ سلوكهم ، ويعتدل تفكيرهم عندما يسمعون قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾ (١) وسيعرفون أن ارتكاب الفواحش وهى الجرائم الإجتماعية ، من شأنه أن يثير الإضطراب ، والحدق فى العلاقات الإجتماعية من أشد العوامل فتكافى فى تقويض المجتمع (٢) .

ب- التربية الإسلامية بإتباع الرسول ﷺ :

أما طريقة التربية بإتباع الرسول ﷺ فهى التى تُعَلِّمُ الطفل القيام بالعبادات والمعاملات وكل شئون الحياة : على هدى هذا الرسول الذى أرسله ربه ليُطَاعَ بإذن الله ، فدروس الحديث والسيرة ، غايتها إتباع الرسول ﷺ لأنه مُبَيَّنُّ للقرآن ولتفاصيل شريعة الله عزوجل .

لقد كان رسول الله ﷺ أقدر الناس على تنمية العواطف الربانية والإعتماد عليها عند الضرورة ، فقد كان بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس . ترجمة

(١) سورة الأعمام آية ١٥١ .
(٢) د / محمد البهى 'نحو القرآن' القاهرة ، مكتبة وجبة ، ١٩٧٩ . ص ١١٣ .

عملية بشرية حبة لحقائق القرآن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته ، ولذلك بعثه الله ليكون قدوة الناس يحقق المنهج التربوي الإسلامي، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١) .

إن كل من يشترك في عملية التنشئة ويطبق المنهج الإسلامي في تربية النشء يحاول تغييرهم وتربيتهم من خلال أنشطة دينية تحتوي على دروس الحديث والسيرة النبوية التي يُعدها لهم ، مستعينا في ذلك برجل من رجال الدين ، يُساعده في تصميم وتنفيذ تلك الأنشطة والبرامج الدينية التي تمكن الأطفال من فهم السيرة النبوية ، ودراسة وفهم الأحاديث سواء كان ذلك من خلال قصة أو تمثيلية تُعد خصيصا لذلك ، أو من خلال زيارات للمساجد في مواعيد الصلاة ، والدروس ، وبذلك يُتيح لهم الفرصة للإستماع لتلك الدروس والأحاديث وهو معهم يُشجعهم ويُعاونهم ويُبسِّط لهم بعض المعانى التي يصعب عليهم فهمها ، وبذلك يُنعم حب الرسول في قلوبهم فيهدون بهنية ويتبعون تربيته بعد أن أحبوا الله وأهدوا بقرانه .

(١) سورة الأحزاب آية ٢١ .

ج- التربية الإسلامية بدروس التوحيد :

بعد أن تُحقق التربية الإسلامية بإتباع الرسول أهدافها . يأتي دور تنمية العقيدة الإسلامية عن طريق دروس التوحيد ، وهي تبدأ من توضيح الهدف الأسمى منها ، أي من توضيح معنى الألوهية والربوبية ، ومعنى عبودية الإنسان لله وحده وما هي الصفات الإلهية التي لا يجوز إسنادها لغير الله .

ومن خلال دروس التوحيد تُربى العقيدة الإسلامية التي تتغلغل إلى أعماق الحدث وترتبط بكيانه وتكون مقوماً ضرورياً لطبيعته ... وليس في مقدوره أن ينفصل بفكره ووجوده عن رباطها الوثيق وصلتها العميقة بالنفس، ... وعندئذ يستشعر المرء في نفسه بالخضوع والإنعان لأوامرها . والوقوع تحت تأثيرها بمقدار ما يتجلى له من حقيقتها ، وما ينكشف له من معانيها ، وأيضاً بمقدار ما ينطبع عنها في ذهنه من آثار ، وما يكون لها في وجدانه من إنفعال . ثم ما يقوم لها في قلبه من قداسة واعتبار(١) .

ولكى تُنتج دروس التوحيد في تربية في تربية العقيدة الإسلامية للناشئين والمنحرفين فلا بد أولاً أن يستخدم كل مشترك في عمليات التربية كل قدراته وأساليبه المهنية في تكوين الرغبة في الاعتقاد والإقتناع بكل جانب من جوانب العقيدة . لأن الأفراد العاديين والمنحرفين لن يؤثر فيهم نكر أئمة الاعتقاد قبل أن تتكون لديهم الرغبة في الإعتقاد والإقتناع الكامل بكل جوانبه . حيث أن من لا يرغب أولاً في الاعتقاد لا يعتقد ، ولو ذكرت له جميع الأدلة العقلية والعلمية . ولهذا

(١) د/ محمد بيصار ، "العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع" ، مكتبة الأجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ ، ص ١٤٢

لما تكلم الله تعالى عن هؤلاء الذين لا يريدون أن يؤمنوا لا لعدم وجود الأدلة وإنما لعدم رغبتهم (١) فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ (٢). كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ (٣)، وهذا ما يقرره الفيلسوف بسكال بقوله: "عن معرفة الإنسان لله تابعة لإرادة الإنسان لا لعقله (٤)" ويقول (وليم جيمس) مقرا ذلك أيضا: "فالرغبة فى نوع معين من الحقيقة هى التى توجد لنا ذلك النوع المعين منها(٥)" ذلك أن الأمر كما يرى وليم جيمس أن القوة الإرادية فوق القوة الإدراكية ولا تعمل إلا بمساعدة هذه القوة الإرادية (٦) ويقول وليم جيمس فى مكان آخر حول هذه الفكرة: "إن الرغبة فى شىء ما تخلق وجود ذلك الشىء وإن الرغبة فى حقيقة معينة معناها وجود لهذه الحقيقة، والإعتقاد فى واقعة ما يساعد على خلق هذه الواقعة(٧)".
والعقيدة الإسلامية هى إخلاص العبودية لله وحده، فهى تُعرّف الإنسان بكل مقاصد العبادة والسلوك فى الحياة وتُعرّفه بما يجب أن يحذره من كل مظاهر الشرك وعقائده.

هذا الجانب الاعتقادى من دروس الدين الإسلامى، هو أهم وأول ما يجب الاهتمام به. على أن تكون ثمراته ونتائج فهمه مطبقة على جميع جوانب الحياة، فيعرف

(١) التربية الأخلاقية الإسلامية: مصدر صلبى، ١٩١.

(٢) سورة الأنعام: ١١١.

(٣) سورة الأنعام: ٢٥.

(٤) بسكال بقلم د/ نجيب بنوى، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، ص ١٥٥.

(٥) العقل والدين، وليم جيمس، ترجمة د/ محمود حسب الله، عيسى النبلى الحلمى، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٢٦.

(٦) نفس المصدر، ص ١٠٧.

(٧) وليم جيمس، مرجع سابق، دار المعارف القاهرة، ١٩٥٨، ١٤٠.

الناسيء أنه يتعلم القرآن وُنعظَّمه لأنه كلام الله ، ووسيلة لمناجاته ومعرفته والخضوع له وتحقيق أوامره .

والمؤسسات التربوية التي تطبق المنهج الإسلامي لتقويم السلوك عن طريق تنمية العقيدة الدينية يستعين بأهل الخبرة والمتفهمين في الدين ، ليقدموا للناسيء دروس التوحيد اللازمة لتنمية إيمانهم ، وأخصائى التنمية دائما معهم فى جميع هذه الأنشطة الدينية حتى يشجعهم على إستمرار الاستفادة منها ، ويُبَسِّطُ لهم ما يصعب عليهم فهمه وينك يستفيدون من هذه الفرص التي تساعد على تنمية شخصياتهم وتقويم إنحرفهم وتعديل سلوكهم .

د- تنمية التميذة الدينية عن طريق دروس الفقه :

أما دروس الفقه فهى أسلوب آخر من أساليب تنمية العقيدة ، فهى التي ترى السلوك الإسلامى الفردى والإجتماعى ، بما تقدمه للناسيء من قواعد تفصيلية ، مستقلة من القرآن والسنة . لبيان أساليب العبادة والسلوك التي يرضاها الله فى جميع شئون الحياة ، ولبيان نظم العلاقات الإجتماعى ، كما يأمرنا الله أن نحققها فى كل إتصالاتنا بالآخرين ، فيجب ربطها دائما بهدفها الأسمى ، طاعة الله والاهتداء بهدى رسوله ، وتحقيق الخضوع والعبودية لله ، كما يريد الله .

ولكى تُحَقِّقَ دروس الفقه أهدافها التتموية المطلوبة فإن أخصائى التنمية الذى يطبق المنهج الإسلامى لتقويم وتنمية الشخصية فإنه يختار لهم من يُقَدِّمُ لهم دروس الفقه ويوضحها ويبسطها لهم ، ويوصلها إليهم بطريقة محببة حتى يستفيدون منها أحسن إستفادة ممكنة ، وعندما يختار أحد المتخصصين فى دروس الفقه فإنه

يخطط لهم ويرسم معه أحسن البرامج وأنسب الأنشطة الدينية التى توصل لهم المطلوب من دروس الفقه بصورة سهلة ومبسطة .

وهكذا تُصبح العقيدة الدينية الأساس الذى تُبنى عليه تربية حياة الناشء المسلم من كل جوانبها ، لأنها تنمى عنده الحد الأدنى فى التصورات العقلية للإسلام عن الكون والحياة ، والعادات السلوكية ، والعواطف الإسلامية الريانية ، وعقيدة التوحيد ، وقواعد الشريعة ، وكلام الرسول ﷺ وبذلك تتحقق الغاية النهائية للمنهج الإسلامى ، وهى إنشاء جيل مسلم مطمئنا مقتنعا ، راغبا فى عبادة الله وحده وتوحيده شاعرا بعظمة شريعته وعدالتها الحقيقية التى لا عدالة بدونها ولا سعادة بغيرها ، وفى تلك أعظم وقاية من الانحراف وأعظم تنمية وتدعيم للشخصية . والتربية الإسلامية عندما تطبق المنهج الإسلامى مع الناشء فإنها تسعى إلى هدفين متكاملين فى آن واحد : أحدهما على المدى القريب وهو تقويم سلوك المنحرفين وعلاج إنحرافهم ، والهدف الثانى على المدى الأبعد وهو بناء الجيل المسلم الذى يبني حياته على تحقيق عبادة الله وهو الهدف الأسمى للمنهج الإسلامى .

ومن الممكن إيجاز الأهداف التى يمكن للتربية الإسلامية تحقيقها عندما تُطبق المنهج الإسلامى عن طريق تنمية العقيدة الدينية فيما يلى :

١- تنمية إحساس الناشء بعبادة الله خالق الكون كما يلى (١) :

أ- تشجيع ميلهم التلقائى إلى استطلاع عجائب الكون التى تدل على عظمة الله وبداع خلقه .

(١) /د/ عراف إبراهيم محمد ، "وحدة لتنمية الشعور الدينى عند الأطفال" طنطا . دار سباح طنطا ، القاهرة ، ١٩٧٩ ص ٥٢ .

- ب- الإجابة عن أسئلتهم بصدق وأمانة بأسلوب يتفق مع سنهم .
ج- تشجيعهم على تربية الدواجن والحيوانات الأليفة حتى تتاح لهم الفرص لملاحظتها وهي تتكاثر وتنمو وتموت .
د- كما تشجعهم على زراعة بعض النباتات ورعايتها للملاحظة تدرج نموها وتنوع محاصيلها .

والأخصائى الممارس للتربية الإسلامية يُتيح لهم هذه الفرص من خلال الأنشطة المختلفة التى يُخططها ويصممها لتحقيق الهدف ، وبذلك يكتسبون الكثير من الخبرات التى توظف إحساسهم بقدرة الله الخالق لهذا الكون .

بالإضافة إلى تقنية الزراعة الجمالية للى الناشئ، كما يلي (١) :

أ- إتاحة الفرصة لاستمتاعهم بمشاهدات الطبيعية ومخلوقات الله التى تملأ قلوبهم إيمانا بالله خالق الجمال .

ب- تنويعهم الفنون المختلفة التى تثير فيهم إحساسا بالخالق لكل البشر .

ج- تعبيرهم الحر - (بال قصة والحركة والإيقاع والرسم والتمثيل والأناشيد والأدعية والتشكيل والموسيقى) - عما يختلج فى نفوسهم من مشاعر ورغبات .

والأخصائى الممارس للتربية الإسلامية عندما يُطبق المنهج الإسلامى على الناشئ فإنه يتعاون معهم فى وضع الأنشطة والبرامج المختلفة التى تساعدهم فى ذلك . فعن طريق برنامج الرحلات يستمتعون بعجائب خلق الله التى تُلفت

(١) وحدة لتنمية الشعور الدينى عند الأطفال ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .

الأحصائي أنظارهم إليها أثناء هذا النشاط الحر . وعن طريق البرامج الترفيهية يتخير لهم الأناشيد الدينية الممتعة . ومن خلال التمثيليات المختارة يُدعم الكثير من الاتجاهات الدينية ، ومن خلال المسابقات والمعارض المختلفة فى الرسم والتشكيل والموسيقى يُغدى لديهم النزعة الجمالية ، فيحبون الجمال وتمتلىء قلوبهم إيماناً بحالق هذا الجمال . ومن خلال الاحتفالات والمناسبات الدينية تتفتح قلوبهم للعقيدة الدينية .

تنمية الإيمان بالله خالق الكون كما يلي (١) :

أولاً : أ- تعويدهم على دعاء الله كل صباح لشكره على نعمه عليهم.

ب- تحفيطهم بعض السور القرآنية التى تناسب أعمارهم وتفكيرهم.

ج- إمتاعهم بقصص الأنبياء والرسل وبطولات المسلمين .

د- إحتفالهم بالمناسبات الدينية مثل غزوة رمضان ، ليلة

القدر ، العيدين ، هجرة الرسول ﷺ ... إلخ.

وأخصائى التنمية يستطيع تحقيق ذلك بالاتفاق مع المشرفين الموجودين

بالمؤسسة سواء كانوا مشرفين ليليين أو نهاريين ، وكذلك بالاشتراك مع كل من يُنفذ

برامج التربية الإسلامية وخاصة من لهم صلة بالبرامج والأنشطة الدينية .

(١) وحدة لتنمية الشعور النبوى عند الأطفال ، المصدر السابق ، ص ٥٣ .

ثانياً: استشارة عاطفة ، تراحم والشفقة نحو الفقراء والضعفاء كما يلي :

- أ- باسئامهم إلى قصص الرسل والأنبياء وأبطال العرب التي تعلى العظمة والعبرة .
 - ب- بزيارتهم لبعض المؤسسات الاجتماعية مثل المستشفيات والسجون ومؤسسات رعاية الطفولة المختلفة وتقديم الهدايا لنزلاتها.
 - ج- بالتصدق بالمال والأطعمة والملابس فى المناسبات .
 - د- بمساعدة من يطلب منهم عوناً يستطيعون أداءه ، واستضافة بعض نزلاء مؤسسات رعاية الطفولة للتعرف عليهم والإحساس بمشاعرهم (١) .
- والتربية الإسلامية قادرة على تصميم البرامج والأنشطة الكثيرة التى تحقق تلك الأهداف . حيث أن الأخصائى المختص يتمتع باحترام وثقة العملاء الذين يهتم بتربيتهم فهم يستحيون لكل توجيهاته ويحترمون تعليماته وإرشاداته ، ويقبلون على تلك البرامج والأنشطة بحماس كبير ورغبة صادقة ، فيقضون معه وقتاً ممتعاً يستغله الأخصائى لتدعيم هذه الإتجاهات بعد أن أصبح الجو مهيئاً للتأثير فيهم . وعندئذ يُصبح قادراً على تحقيق أهداف المنهج الإسلامى الذى يحقق أهداف التربية الإسلامية .
- وأخصائى التنمية الذى يطبق المنهج الإسلامى مع الأطفال والمحرقرين يحاول إكسابهم خبرات تعليمية جديدة تهدف إلى تدعيم القيم والمبادئ الإسلامية، وتنمية المهارات ، وتكوين الإتجاهات السلوكية المرغوبة ، وبذلك يتمكن من إحداث التغييرات المطلوبة فى سلوكهم وصولاً لتدعيم وتنمية شخصياتهم .
- وهكذا تحقق تنمية العقيدة الدينية الأهداف العلاجية المطلوبة حيث أنها تعتبر أهم أساليب التربية الإسلامية المنشودة .

(١) نفس المصدر ، ص ٥٢ .

٢- التربية الإسلامية وتنمية القيم الخلقية .

- أ- التنمية الخلقية بتكوين العادة .
- ب- التنمية الخلقية بالقدوة الحسنة .
- ج- التنمية الخلقية عن طريق الترغيب والترهيب .
- د- التنمية الخلقية بالمضادات الخلقية .

التربية الإسلامية بتنمية القيم الخلقية

التنمية الخلقية هي التدريب على السلوك الرشيد ، وتكوين الخلق الحميد... وهي المصباح الكاشف لمسالك الرشد والهداية ، وهي المعيار الذي تُوزن به نوايا العاملين وبواعثهم ، وهي التوجيه المستمر لأعمال الإنسان على طريق الإستقامة . ولا نبالغ إذا قلنا أن التنمية الخلقية هي الوصول إلى المثل العالی من الخلق الكامل فى العادات ، والأحوال ، والآداب فى هذه الحياة ... وقد اتفق المربون والمصلحون على أن سعادة الأمم لا تتوقف على كثرة دخلها ، ولا على قوة حصونها . أو جمال مبانيها، ولكنها تتوقف على عدد المهذبين من أبنائها ، وعلى رجال التربية والعلم والأخلاق فيها ، فهنا تكون سعادتها وقوتها ومقدرتها الحققة (١) .

والتنمية الخلقية كما جاءت فى الإسلام لها هدفان أحدهما على المدى القريب والآخر على المدى البعيد .

أما الهدف القريب فهو تكوين الإنسان الخير الذى حدد الرسول ﷺ شخصيته بأنه يُصبح مفاتيح للخير مغاليق للشر (٢) . يتميز بالإنفتاح للخير عن حب للخير ، والإسراع إليه عن رغبة فيه ، وإجتناّب المعاصى عن كره لها لا إتياءاً للعادة ، ولا خوفاً من عقاب القوانين أو تعبير المجتمع ، يحبون الفضيلة ويؤثرون مصلحة غيرهم على أنفسهم كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا

(١) محمد عطية الإبراشي: "روح الإسلام" دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٦٩ .

(٢) المقاصد الحسنة ص ١٢٩ رواه ابن ملجى والطلياليس .

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤِثِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿١﴾ ثم إلى جانب هذه الصفات الخيرة النيرة يتسابقون في عمل الخيرات ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (٢) .

من هذا كله يتبين لنا أن تكوين إنسان خير يتضمن من المعاني أكثر من مجرد إنسان كامل يراه بعض المرييين (٣) ، أو الوصول بالإنسان إلى نبالة الخلق كما يراه البعض الآخر (٤) ، أو تكوين إنسان تام كما يراه آخرون (٥) ، لأن همد الكلمات قد تفيد التخلق الظاهري فحسب ولا تفيد التخلق الباطني أو روح التخلق، لأن الإنسان قد يتخلق بمظاهر الأخلاق ولا يتخلق بروح الأخلاق ومظاهرها معا هو الذي يجعل الإنسان خيرا ، أي يجعله يسعى للخير أينما كان ويفتح أبوابه إذا وجدها مقفولة . ولا يكتفى بالكف عن الشرور ، وإنما يسعى باستمرار للحيلولة دون وقوع الشر كما يسعى لقفل أبوابها ونوافذها أينما وجدها مفتوحة (٦) .

أما الغاية البعيدة للتنمية الخلقية كما أرادها الإسلام فهي الوصول بالإنسانية إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة . وقد أكد الرسول ﷺ صراحة أن حسن الأخلاق طريق سعادة الإنسان ، وسوء الأخلاق طريق شقائه . فقال ﷺ : "من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاوته سوء الخلق" (٧) ، تلك حقيقة واضحة إذا

(١) سورة الحشر ٩

(٢) سورة المومنون ٦١ .

(٣) تهذيب الأخلاق ص ٤٠ ، ابن مكيوة

(٤) الأخلاق والسلوك في الحياة ، وليم ماكنوجل ، ترجمة حبران سليم ، راهيم ، مكبره مصر ، ١٩٦١ ، ص ١٣٣

(٥) تهذيب الأخلاق ويسبب إلى أبي زكريا يحيى بن عدي ، ص ٥٦

(٦) التربية الأخلاقية / مصدر ملوق ، ص ١٠٩

(٧) مسند الإمام احمد ، الإمام احمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي للطباعة للنشر ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٢٢

أمعنا النظر في حكمة الأخلاق الإسلامية والقيم التي تحملها . وكذلك نجدها واضحة وصريحة في كثير من النصوص القرآنية والسنة النبوية .. لما فيها من قيم صحيحة ، إقتصادية وإنسانية وإبداعية ومادية ومعنوية وفردية وإجتماعية ، الأمر الذي يجعلني أقول بكل تأكيد بأنه لا يمكن تحقيق السعادة بدون إنخاض هذه الأخلاق طريقاً ومنهجاً في الحياة الفردية والإجتماعية معا (١) .

ويعلل الإسلام لماذا كانت الأخلاق الحسنة طريق السعادة ، والأخلاق السيئة طريق الشقاوة ، بأن مبادئ الأخلاق الحسنة تحمل في طياتها أسباب السعادة ، وسوء الأخلاق تحمل أسباب الشقاوة ، فمن أسباب السعادة وجود الصحة الكاملة من الناحية النفسية والجسمية ، وانعدام هذه الصحة يؤدي إلى التعاسة والشقاوة. وهناك علاقة بين الأمراض النفسية والجسمية ، فإن كثيراً من الأمراض النفسية تؤدي مثلاً إلى أمراض بيولوجية والعكس صحيح . ويقرر ذلك كثير من العلماء الغربيين (٢) وإذا كان معظم الأمراض النفسية أسبابها الانحرافات الأخلاقية كما يقرر ذلك العلماء النفسيون ومنهم (هادفيك) الذي يقول في هذا الصدد "كل مرض نفسي ينطوي على نقص خلقى" (٣) فإن الإسلام قد قرر ذلك قبل هؤلاء ، وبين العلاقة بين الانحراف الأخلاقي والأمراض النفسية ثم بين الأمراض النفسية بشكل واضح وصريح فقال الرسول ﷺ " من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه (٤) " .

(١) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام . مقداد بالجن ، مصدر سابق مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٣٠٧ ، ص ٣٥١ .

(٢) حامد عبد القادر : العلاج النفسي قديماً وحديثاً ، دار أحياء الكتب العربية ، للقاهرة ١٩٤٧ ، ص ١٣٨ .

(٣) توفيق الطويل " الفلسفة الخلقية " دار النهضة ، ١٩٦٧ ، ص ٤٦٨ .

(٤) منتخب كنز العمال في هامش مسند أحمد ٢٥٨/١ .

ولذلك فإن العلاج الإسلامي الشافي لكل هذه الأمراض جاء واضحاً صريحاً في القرآن الكريم بمبادئه العظيمة التي لا شفاء بدونها ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَتُنزَلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (١) .

وبعد أن عرفنا هدفى التنمية الخلقية البعيد والقريب فإنه يمكن القول أن هناك علاقة وثيقة بين غايتها القريبة والبعيدة ، ذلك أنه إذا كانت غايتها القريبة تكوين إنسان خير ، فإن تكوين إنسان خير الوسيلة الوحيدة للوصول بالإنسانية إلى السعادة . إذن فإن هدف التنمية الأخلاقية الإسلامية القريبة طريق وحيد لتحقيق غايتها البعيدة وهي تحقيق السعادة للمجتمع الإنسانى (٢) .

إن التربية الإسلامية توجب علينا أن نذكر دائماً أننا لسنا فى حاجة إلى العلم فحسب ولكننا فى حاجة إلى التنمية الخلقية ، فى حاجة إلى الأخلاق الفاضلة فقال الرسول ﷺ " إنما بحثت لأتم مكارم الأخلاق " وقد خاطب الله الرسول ﷺ بقوله " ﴿ وَإِنَّكَ لَمَلَأْتَ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ " (٣) وقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه للرسول والكريم " لقد طفت العرب ، وسمعت فصحاءهم ، فما رأيت ولا سمعت مثلك أحداً . فمن أدبك ؟ قال الرسول ﷺ : " أدبى رضى فلحسن تلديبى " (٤) .

إن روح الإسلام هى الأخلاق الفاضلة الكاملة التى تستمدى من المسلم أن يخاف الله فى السر والعلانية ، فى كل عمل يفكر فيه . أو يُقدم عليه ويتقى الله حق تقاته .

(١) سورة الإسراء : ٨٢

(٢) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١٢٤ .

(٣) سورة القلم آية ٤

(٤) رواه ابن السمعتى فى أنب الإسلام عن ابن مسعود رضى الله عنه .

ويفكر دائما فى النواحي الإنسانية ، والأغراض النبيلة الإسلامية ، ويبغى كل عمل إرضاء لله ، ويدعو إلى الخير ، ويستنكر كل شر ويحب أخاه المسلم ، ويتعاون معه على البر والتقوى ، ولا يتعاون على الإثم والعدوان ، ويخلص فى أفعاله الإخلاص كله (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

إن روح الإسلام تتطلب الإيمان الكامل بالله ، والإتجاه إلى الله بالقلب واللسان ، والعمل الصالح ، وتطهر النفس ، وترك الأمور كلها لله ، والثقة التامة به فقال سبحانه وتعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣) . كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (٤) .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٥) .

وهكذا نرى أن الاسلام يوجب علينا تربية الخلق ، وحسن السلوك وتهذيب الإرادة وتمييز الغس من الثمين ، والحسن من القبيح ، واختيار الفضيلة وتجنب الرذيلة ، حتى يُرى رجالا كريمى الخلاق ، أقوياء العزيمة ، مهذبين فى

(١) روح الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٧١ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٣) سورة البقرة ١١٢ .

(٤) سورة النساء : آية ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٥) سورة النساء : ١٢٥ .

أقوالهم وأفعالهم . نباء في تصرفاتهم وخلقهم . صفاتهم الحكمة والفضيلة والأدب والإخلاص والطهارة .

الأخصائى الممارس للتربية الإسلامية الذى يطبق المنهج الإسلامى لتربية الناشئين وعلاج المنحرفين الذين انحرفت أخلاقهم، وفسدت طباعهم ، يحاول إصلاح ما فسد وتقويم ما انحرف ، عن طريق التنمية الخلقية التى تسعى إلى تثبيت القيم الأخلاقية الأصلية التى توارثتها الأمة الإسلامية جيلا بعد جيل مهتدية بكتاب ربها وسنة نبيها ، الذى بعثه الله ليثم مكارم الأخلاق، وإزالة ما تركز عليها من رواسب عصور التخلف . وما دخل عليها من تقليد الأمم الأخرى قديما وحديثاً . فالسقاء والإيثار ، والحياء ، والصبر على المكارم . والثبات فى الشدائد ، والتعاون على البر والتقوى ، والدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وبر الوالدين ، وصلة الأرحام . والإحسان إلى الجار ، وإكرام الضيف ، وإغاثة الملهوف . والصدق فى القول ، والأمانة فى العمل ، والعدل فى الحكم والشهادة بالحق ، ورحمة الصغير . وتوقير الكبير ، واعطاء كل نى حق حقه . وخفض الجناح ، وعزة النفس ، والقصد والاعتدال فى كل شئ ... إلى غير ذلك من فضائلنا العظيمة الإصيلة التى يجب أن تسود وتبقى وتعمق جذورها وتمد فروعها (١) .

والتربية الإجتماعية تسعى لتحقيق ذلك من خلال تطبيقها للعلاج الإسلامى عن طريق القدوة الصالحة ، التى يلمسها النشئ فى أخصائى التنمية الذى يحاول تنمية أخلاقهم ، ويحرص على إكتساب ثقتهم ومحبتهم ، ويخطط

(١) يوسف القرضاوى . الحل الإسلامى فريضة وضرورة ، مكتبة وهبه ، القاهرة . الطبعة الثالثة ، ١٩٧٧ ، ص٧٤

ويصمم لهم البرامج والأنشطة التي تدعم تلك الفضائل . كما يُهيئ لهم الفرص للإشتراك في بعض الندوات وحضور بعض المحاضرات . وأداء بعض التمتليات أو مشاهدتها . ومن خلال القصص والحكايات يستطيع أخصائى التنمية إبراز تلك القيم الأخلاقية ، وإكسابها لهؤلاء الناشئين المنحرفين ، وبذلك يُحىي قلوبهم ، ويُوقظ ضمائرهم ، وهى أعلم رادع عن الشر . وأكبر حافز إلى الخير وأقوى مدد لمكارم الأخلاق . ويرى المؤلف أن التنمية الأخلاقية كأنهم أسلوب من أساليب المنهج الإسلامى يمكن تحقيقها عن طريق عدة أساليب فرعية يقترحها المؤلف كما يلى :

أ- التنمية الخلقية بتكرين المادة :

يتكون الخلق بالممارسة والاعتياد وبكثرة تكرار الفعل والمواظنة عليه . ولعل ذلك هو الملاحظ عند هؤلاء الذين تَرَقُّوا الخلق بأنه (عادة الإرادة) فعندما يُراد تحويل الإنسان من خلق دميم إلى خلق آخر حميد ، أو يُراد تكوين خلق معين له لم يكن موجوداً من قبل نساعد الطفل على تكرار هذا العمل وفعله باستمرار . مع إستعمال وسائل الإغراء والترغيب . التى من شأنها أن تحبب إليه إتيان هذا الفعل الحميد ، وإقبال على ممارسته برغبة صادقة وميل أكيد ، واستخدام وسائل التنفير من ضده ، بحيث تصير نفرته منه وإبتعاده عنه ميلاً ورغبة . بل طبيعة وخلقاً وبالمواظبة على هذا التكرار . والمداومة على هذا الفعل الحميد . يُصبح إبنانه وممارسته عادة لازمة . وطلعا دائما . أى يصير خلقاً له (١)

(١) القعدة والأخلاق . مصدر سابق ص ٢٠٦

وبعد ذلك نرى هذا الخلق الحميد الذي واظب عليه وتعوّد عليه يصدر عنه تلقائياً غير أن يسبقه تفكير وتقدير بحيث يكون انطباعاً من انطباعات النفس وحالاتها ، تحملها على الفعل من غير حاجة إلى تأمل أو روية (١) .

والإسلام يستخدم العادة وسيلة من وسائل التربية ، فَيُحوّلُ الخير كله إلى عادة تقوم بها النفس بغير جهد ، وبغير كد ، وبغير مقاومة (٢) .

ويتضح ذلك من قول الإمام الغزالي في تعريفات الخلق : (هيئة للنفس راسخة عنها ، تُصوّرُ الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر أو روية (٣) كما عرفها ابن مسكويه بأنها "حال للنفس داعية لها أفعالها من غير فكر ولا روية (٤) " .

وقد بدأ الإسلام – وهو ينشأ في الجاهلية – بإزالة العادات السيئة التي وجدها سائدة في البيئة العربية ، واتخذ لذلك إحدى وسيلتين : إما القطع الحاسم الفاصل وإما التدرج البطيء ، حسب نوع العادة التي يعالجها ، وطريقة تمكينها من النفس (٥) .

فالقطع الحاسم استخدمه الإسلام بالنسبة للعادات التي تتصل بالعقيد والارتباط المباشر بالله مثل : الشرك بكل عاداته لأنه لا يمكن أن يستقيم إيمان وشرك وعبادة لله وعبادة لغيره من كائنات، وكذلك بالنسبة لواد البنات ، أو بعض العادات النفسية من كذب وغيبة ونميمة وغمز ولمز وكبر ... إلخ من مثل هذه الأمور

(١) العقيدة والأخلاق مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .
 (٢) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٤٢ .
 (٣) أحياء علوم الدين .. الإمام الغزالي ، ج ٣ ص ٢٠ .
 (٤) منهج التربية الإسلامية مصدر سابق ، ص ٢٤٧ .
 (٥) منهج التربية الإسلامية مصدر سابق ، ص ٢٤٧ .

التي تُشبه الأورام الخبيثة التي لا علاج لها بالحسم والبتر من أول لحظة، بضربة قاطعة حاسمة .

أما وسيلة التدرج البطيء فقد استخدمها الإسلام مع بعض العادات الإجتماعية التي لم تكن عادات فردية بقدر ما كانت عادات منتشرة في المجتمع ومن أمثلتها : الخمر والزنا والرق والربا إلخ وكلها عادات لا يمكن منعها دفعة واحدة ، ولا تستطيع أي نفس أن تحسم موقفها منها في لحظة .

لذلك استخدم الإسلام معها التدرج إلى مراحل ودرجات ، أو تأخير تحريمها حتى يكتمل نمو المجتمع الإسلامي ، وقد اتضح لنا ذلك جلياً عندما عالج القرآن عادة شرب الخمر التي كانت من أكثر عادات الجاهلية انتشاراً وتمكنا من نفوس العرب ، ولم يكن من الممكن استخدام الحسم القاطع معها ولنتدبر قول الله سبحانه

وتعال وتدرجه في الايات التالية ﴿ تَتَجَلَّوْنَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ (١)

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ

نَفْسِيهَا ﴾ (٢) ﴿هَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (٣) ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ

وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْزَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ لَمَّا جَنَّبُوهُ لَعَنَّكُمْ تُمْلِكُونَ ﴾ (٤) .

من هذه الايات الكريمة نرى كيف تدرج الإسلام في علاج هذه المشكلة

الإجتماعية الخطيرة ، فبدأ بإشارة ذكية لتحريم الخمر فصل فيها بين السكر والرنق

(١) سورة النحل : ٦٧ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٩ .

(٣) سورة النساء : ٤٣ .

(٤) سورة المائدة : ٩٠ .

الحسن . ثم كانت مرحلة التفاعل الوجداني والافتقار العقلي التي تزحزح النفس عما تحبه ، وتحوّلها عما تألفه من عادات . ثم جاءت المرحلة الثالثة التي حرمت السكر في أوقات الصلاة ، وأخيراً كانت المرحلة الحاسمة التي تحتاج إلى التحريم القاطع بعد أن تم تهيئة العقول وإقناعها وتنقية النفوس وتنظيفها واستحياء القلوب وتطهيرها .

وبنفس الطريق تم علاج الزنا ، حيث بدأ بالنصيحة ثم تدرج إلى التهديد بالعقوبة ، ثم تطور تقرير عقوبة مجملة ، وأخيراً قرر عقوبة مفصلة محددة .

كما تدرج في عدم إكراه الفتيات على البغاء ، إلى إباحة زواج المتعة، إلى تحريم البغاء وتحريم زواج كليهما ، والخلوص إلى إغلاق كل الطرق فيما عدا الزواج المؤبد الدائم المعقود باسم الله وبنية الدوام (١) .

أما بدر العادات الصالحة فله كذلك عدة طرق وعدة مراحل: فمثلاً بالنسبة للعادات النفسية كالصدق " والوفاء ، والمحبة . والعطف ، والبذل والإيثار .. فقد لجأ الإسلام في ذلك أولاً إلى إثارة الوجدان وإنشاء الرغبة في العمل . ثم يحوّل الرغبة إلى عمل واقعي ذي صورة محددة واضحة السمات ، فليتقى الظاهر والباطن ويتطابقان ويتكلمان : رغبة وسلوكاً ، ثم يحول الرغبة والعمل من مسألة فردية إلى رباط اجتماعي (٢) .

هكذا بعد أن رأينا تدرج الإسلام في منع العادات المدمومة نرى كيف يتدرج في تكوين العادات الصالحة كوسيلة من وسائل العلاج الإسلامي . التي تبدأ

(١) منهج التربية الإسلامية مصدر سابق ، ص ٢٤٩
(٢) منهج التربية الإسلامية مصدر سابق ، ص ٢٥٠

بإثارة الوجدان وتحريك المشاعر ، بهزات وجدانية محببة ، تهز النفس وتنقلها من شعور إلى شعور ، ومن حالة إلى حالة ، بحيث تُصبح على إستعداد للتغيير ، وعندئذ يعمل الإسلام على إنشاء الرغبة فى العمل التى يُسارع إلى تحويلها إلى عمل فعلى يرتبط به الإنسان بواقعه الإجتماعى ، ثم تُصبح عادة من عادة الإسلام .

فالصلاة رغبة فى الإتصال باللَّه والدعاء إليه وطلب المعونة منه ، فُيحول هذه الرغبة إلى عمل محدد ذى مراسم وحدود ثم ينظمها فى أوقات محددة . ثم يدعو إلى الجماعة ويحبب إليها .

والزكاة رغبة فى التحرير من الشح ، والعطف على المحتاج والتعاون مع الجماعة ، فتنحول الرغبة إلى عمل ظاهر محدد ، ذى نسبة معينة فى المال وأوقات معينة فى الأداء ، ثم يُحوَّل العمل الفردى إلى نظام تقوم عليه الدولة والمجتمع (١) .

والأخصائى التنموى الذى يستخدم المنهج الإسلامى فى تعديل سلوك الأطفال يسعى جاهدا لتنمية أخلاقهم عن طريق مساعدتهم على ممارسة الفضائل الأخلاقية بصفة مستمرة ، بعد أن يستثير مشاعرهم ، ويُحرك وجدانهم ، ويوجد الرغبة لديهم ، ثم يُحوِّل هذه الرغبة إلى عمل يمارسونه فعلا عن طريق أنشطة وبرامج يصممها خصيصا لذلك ، فمثلاً إذا أراد أن يُكوِّن عادة الأمانة للطفل فإنه يساعده على ممارستها من خلال بعض الأدوار فى تمثيلية معينة رسم فيها دور الأمين بصور متقنة ، ويُحاول تكرارها يومياً ، ثم بعد ذلك يعطيه مكانة معينة بين زملائه يكون من صفاتها الأمانة مثل أمين صندوق جماعة من جماعات النشاط

فى النادى أو المدرسة وُبِح أميناً على أموالها أو يقف بجانبه الأخصائى مشجعاً تارة ومعلماً تارة أخرى ، حتى تصبح الأمانة عادة من عادته تكونت بالممارسة والاعتىاد ، بكثرة التكرار ، والمداومة على هذا الفعل الحميد ، إلى أن نصير الأمانة حُكماً له يَصْدُرُ عنه تلقائياً من غير أن يسبقه تفكير وتقدير .

كما أن الأخصائى المهتم بالتنمية قد يطلب من أحد الأطفال أن يُلقى كلمة الصدق فى برنامج ثقافى بالمؤسسة بين مجموعة من زملائه ، ثم يجعله يكررها باستمرار بين المجموعات الأخرى ، أو يُلقبها كل صباح بين زملائه .. ثم يعطيه بعد ذلك دوراً فى تمثيله مختارة يكون فيها الصادق الذى لا يكذب ، ويكرر هذا الدور بصفة مستمرة أثناء الإعداد ثم أثناء الاحتفال .. ثم يختار له بعض القصص التى تهدف إلى تدعيم الصدق والترغيب فيه ، وهكذا يطبق الأخصائى التعميم تكوين العادة على الفضائل الأخلاقية كلها بنفس الطريقة وبذلك يصل إلى هدف تُحَسِّن التنشئة وبنى شخصية الطفل ونميتها .

ب- التنمية الخلقية عن طريق القدوة الحسنة :

تُعتبر من الأساليب الهامة في المنهج الإسلامي الذي يهدف إلى إزالة الخلق السيئ^(١) ويرى الإمام الغزالي أن تغيير الخلق ممكن ويقول ذلك تطبيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام " حسنوا أخلاقكم " لو لم يكن ممكناً لما أمرنا الرسول ﷺ به . ولو امتنع ذلك لبعثت الوصايا والوعاظ والترغيب والترهيب . فإن الأفعال نتائج الأخلاق فمن حسن خلقه اعترف ، ومن ساء خلقه إنحرف .

والتربية الإسلامية بالقدوة الحسنة هي التي غرست أخلاق الإسلام في النفوس عندما اقتدوا برسول الله ﷺ . وكما فضل فلاسفة ومفكرون تخیلوا التربية وخططوا مدناً فاضلة ، فبقيت مناهجهم ومدنهم خيالاتاً هائماً ، وتصوراً عقلياً ، لم يتحول إلى واقع أبداً .. . وحين أنزل الله كتابه لم يرد أن يكون نظرية تحفظ . وإنما أراد أن يكون سلوكاً يُترجم في واقع الحياة ، فلختر من بين الناس محمداً ﷺ ليكون السراج المنير والمثل الأعلى والمقبولة العظيمة للإنسانية كلها (٢) .

فقد اختار الله الرسول ﷺ عن علم كما قال سبحانه ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَخْتَلُ رَسُولَاتِهِ﴾ (٣) واختياره بعد أن ربه وأبيه .. "أُسْنَى رَى وَأُحْسَنُ تَلْسِيْبِي" (٤) ولذلك كانت حياته مُشْرِقة مُضِيئة لا يخفى منها شئ حتى يكون الإقتداء به على

(١) الأخلاق عند الغزالي د. زكي مبارك المكتبة الرحمانية بمصر ، بيون ص ١٦٥ .
(٢) عبد الفتاح " مهج القرآن في تربية المجتمع " مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٩ ، ص ٢٢٧ .
(٣) الأنعام : ١٢٥ .
(٤) رواه ابن السمعاني في أئب الإسلام عن ابن مسعود رضي الله عنه .

أتم وجهه وأكملاه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١) .

يقول سليمان الندي في كتابه الرسالة المحمدية " إذا كنت غنيا ثريا فاقتد
بالرسول ﷺ عندما كان تاجرا يسير بسلعته بين الحجاز والشام ، وحين ملك خزائن
البحرين ... وإذا كنت معدما فلتكن لك أسوة به وهو محصورى شعب أبى طالب ،
وحين قدم إلى المدينة مهاجرا إليها من وطنه وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئا ..
وإذا كنت ملكا فاقتد بسنته وأعماله حين ملك العرب وغلب على آفاقهم ، ودان
لعلاقته عطلوهم وإذا كنت رعية ضعيفا فلك فى رسول الله أسوة حسنة أيام
كان محكوما بمكة فى نظام المشركين ... وإن كنت فاتحا غالبا فلك فى حياته
نصيب أيام ظفر يعده فى بدر وحنين ومكة ... وإن كنت مهزوما لا قدر الله فاعتبر
به فى يوم أحد وهو بين أصحابه فى المسجد ... وإن كنت تلميذا متعلما فتصور
مقعه بين يدى الروح الأمين جاثيا مسترشدا ... ، وإن كنت واعظا ناصحا ومرشدا
أميناً فاستمع إليه وهو يعظ الناس على أعود المسجد النبوى .. ، وإن أردت أن تقيم
الحق وتصدع بال معروف وأنت لا ناصر لك ولا معين فانظر إليه وهو ضعيف لا ناصر
ينصره ، ولا معين يعينه ، وضع ذلك فهو يدعو إلى الحق ويعلم به (٢) .

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٢) سليمان الندي . الرسالة المحمدية ، ص ٩٣ ، ص ٩٥ .

"وأيا ما كنت وفي أى شأن كأنه شأنك فإنك مهما أصبحت وأمسيبت على أى حال بت أو أضحيبت فلك فى حياة " محمد ﷺ هداية حسنة وقدوة صالحة ، تضئ لك بنورها الحياة وتجلئ لك بضوئها ظلام العيش (١) .

هذا المثل الرفيع الذى تمثل فى كتاب الله وهدية شتت نوراً فى القلوب فارتبطت به ، وأحبته منه أكبر من نفسها ، وضحت بما تملك فداء لرسالته ، مما يبين أثر القدوة الحسنة فى النفوس ، وكيف كانت دعامة قوية فى تربية المجتمع على مبادئ الإسلام حتى صار المسلمون خير أمة أخرجت للناس .

إن أسلوب التربية الخلقية بالقدوة الحسنة كأسلوب هام من أساليب العلاج الإسلامى هو الذى عالج أمة كادت تموت فأحيها " رسول الله ﷺ بروح القرآن فإذا هى نُبعث من جديد ، تنقض غبار الزمن وتصنع الحياة والأحياء على خير زاد وأجمل طريق وأروع مسلك ، وصدق قول الله فى رسوله الحبيب . ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢) .

لقد زكاهم هنا الرسول وطهر أخلاقهم وسلوكهم وعقلاندهم ورفعهم من الهوة الهابطة والضباع القاتل إلى القمة العالية ، فإذا بالأمة رائدة وقائدة ، تفيض حكمة تابعة من الكتاب الخالد ... الذى بعثها وأحيها وقد كانوا من قبل فى ضلال مبين (٣) .

(١) سليمان الندى - نفس المصدر ، ص ٩٥ .

(٢) سور الجمعة : ٢ .

(٣) منهج القرآن فى تربية المجتمع مصدر سابق ، ص ٢٤٦ .

هذا العلاج الإسلامى الذى تحاول التربية الإسلامية تطبيقه وتنشئة الأطفال المنحرفين منهم ، يهدف إلى تعديل سلوكهم ، وتقويم إنحرافهم وتنمية شخصياتهم عن طريق التنمية الخلقية ، بتكوين العادات الخلقية الصالحة تارة ، وبالقدوة الحسنة أخرى ، لا يستطيع تطبيقه إلا الأخصائى التربوى الذى يعرف الآثار والأسس التربوية للقدوة الحسنة ، وعندئذ يعرف جيدا أن حياة الأخصائى التربوى المسلم - الذى يطبق العلاج الإسلامى لحل مشكلات المجتمع - هى حياة الداعية إلى الله ، بحيث يكون قدوة أمام الناس، فيتحدى بأفضل الأخلاق التى يستلهمها من القرآن ، ومن سيرة الرسول ﷺ ويصبر على تطبيقها والتحدى بها ، وقد جعلها الإسلام القدوة الدائمة لجميع المشتركين فى ممارسة التربية الإسلامية قدوة متجددة على مر الأجيال ، متجددة فى واقع الناس .

والإسلام لا يعرض هذه القدوة للإعجاب السلب ، والتأمل التجريدى فى سبحات الخيال ، بل يعرضها عليهم ليحققوها فى نوات أنفسهم : كل بقدر ما يستطيع أن يقتبس ، وكل بقدر ما يستطيع أن يطبق وكل بقدر ما يصبر على الصعود (١) .

وبنك يصبح الأخصائى التربوى بما تعلمه من أخلاق الرسول قدوة أمام الأحداث الذين يشارك فى تنشئتهم ، فإن كان صادقا فسيتعلمون الصدق وإن كان مؤمنا صادقا سيتعلمون الصلاح والإيمان . فالأخصائى التربوى المسلم يجب أن يكون خلقه القرآن وغناؤه الآذان ، وصفاته التقوى والإيمان ، وبذلك ينجح فى أداء

(١) أصول التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٢٣١ .

رسالته في التربية الإسلامية . كما ينجح في تحقيق أهداف التربية التي تبنى أجيال صالحة مؤمنة قوية قادرة إلى إعادة الأمة الإسلامية لسالف مجدها حيث كانت خير أمة أخرجت للناس .

والأخصائى التربوى المسلم عندما يقتدى بالرسول ﷺ ويُصبح مثلاً طيباً وقنوة صالحة أمام الناس سُبُحَّاح من الداعين إلى الله والداعون إلى الله أينما كانوا محفوظون - كما وعد الله - برعايته وعنايته ، فليعتصموا بحبله ، وليتقوا بنصره(١) والله غالب على أمره " .

ج- التنمية الخلقية بالترغيب والترهيب :

إن الترهيب كأحد أساليب التنمية الخلقية قد لجأت إليه كل الأديان السماوية في دعوتها ، فرغبت بالثواب بالجنة ، ورهبت وخوفت من العقاب بالنار، والخوف من العقاب المؤجل ، والطمع فى الثواب المؤجل ، أرقى من الخوف والطمع فى الأشياء العاجلة، لأنه يعتمد على مبادئ عقلية وفضائل نفسية وخصائص إنسانية، فالعاقل لا يبيع الحاضر بالقائب ، والمصلحة العاجلة بالمصلحة الآجلة إلا إذا فكر فى عواقب الأمور ، وكانت له عقيدة ثابتة ، وكانت ثقته بما عند الله أشد من ثقته بما فى يده ، وكان له من قوة الضمير ، وضبط النفس ما يدفع عنه منتظر المغريات (٢) .

إن القدوة الصالحة قد لا ترتقى إليها بعض النفوس ، فتظل غافلة جاهلة لا تتأدب بأدب . ولا تنتهى عند فكر ... فهل من مُحَرِّك يُنْزِل هذه النفوس الراكدة

(١) الإمام محمود طهري من توجيهات الإسلام ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢٤
(٢) دراسات إسلامية فى العلاقات الاجتماعية . مصدر سابق ، ص ٧٢ .

ويدفعها إلى التخلق بأجمل الصفات ؟ هنا تأتي الموعدة التي تطرق القلب ، وتشد رغائب الإنسان ، وترتقى به إلى أعلى منزلة ، وتهديه إلى الخير ، وتبين له مزاياه وتقرع مشاعره ، وتضعه في موقف الخوف والرهبة وتُصهره بكل ألوان لتعذيب والتضييق والتنكيل ، وتُذكره بما ينتظره في يوم آت قريب ، إذا ما وقع في الشر وأصر عليه ، فتتطابق القوة بما ترسمه في شخص القائد من الإلتزام بالخير والبعد عن الشر ، وما تبدو عليه من شارات الهداية والنور ، مع التربية بالمواعظ والتنكير ، وإشارة العزائم ودفعها بالخوف والرجاء ، وبالقوة والموعدة يتربى الإنسان على الأخلاق الفاضلة (١) . وكتاب الله حافل بهذا اللون من التنمية الخفية فقد قال تعالى : ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) . ﴿ هدى وذكرى لأولى الأبواب ﴾ (٣) والرسول - ﷺ - مأمور بهذا التنكير فقد قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٥) لذلك لا نجد خلقاً حميداً إلا وحث عليه القرآن ، و تلقى خلقاً سيئاً إلا نهى عنه ، وفي كل ذلك لا ينسى قاعدته الكبرى التي قام عليها كل أوامره ونواهيها ألا وهي الإيمان بالله وباليوم الآخر ، وبين الجنات ، والخلود ، والأمان والرضا ، والسلام والنعيم ، والنار الموقدة ، والعذاب والهوان ، والشفاء في الدنيا ، والتعاسة في الآخرة ... وبين هنا وذلك يضرب القرآن على أوتار القلب المشدود من هنا بالخوف ، ومن هناك بالرجاء ، فتصدر عنه أنغاما متناسقة ليس فيها نغمة نشان ، إنما هو الإحكام في كل تصرف ، والارتباط بكل خير ، والابتعاد عن كل شر (٦) .

(١) منهج القرآن في تربية المجتمع مصدر سابق ، ص ٧٢ .

(٢) آل عمران : ١٣٨ .

(٣) سورة غافر : ٥٥ .

(٤) الذاريات : ٥٥ .

(٥) القصص : ٢١ .

(٦) منهج القرآن في تربية المجتمع ، نص المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

٣- التنمية الخلقية عن طريق الترغيب والترهيب

قد تنجح في تعديل الأخلاق الفاسدة وتغييرها ، إلا أنها تعتبر أضعف أنواع العلاج أثرا ، وأسرعها تقبلا ، وأقلها ولكنها مؤكدة التأثير في النشئ الصغير عندما نبني شخصية الطفل في الخمسة سنوات الأولى من عمره .

ولذلك فإن هذا الأسلوب العلاجي لا يُستخدم إلا بعد محاولات متكررة بشتى الأساليب الأخرى ، وعندئذ يُصبح هذا الأسلوب مناسباً لتلك الفئة التي لم تستجب لأساليب التنمية الخلقية الأخرى ، لأن هنالك درجات متفاوتة بين الناس ، فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه ، ويعدل عما هو مقدم عليه من إنحراف ، ومنهم من لا يردعه إلا الغضب الجاهر الصريح . ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ ، ومنهم من لا بد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه ، ومنهم بعد نلك فريق لا بد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكي يستقيم (١) .

والإسلام يتبع جميع الوسائل العلاجية فلا يترك منفذا في النفس لا يصل إليه ، إنه يستخدم القدوة والموعظة ، والترغيب والثواب ، ولكنه كذلك يستخدم التخويف والترهيب بجميع درجاته من أول التهديد إلى التنفيذ ، فهو مرة يهدد بعدم رضا الله ، وذلك أيسر التهديد ، وإن كان له فعله الشديد في نفوس المؤمنين : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ

(١) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٢٣٦ .

لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَحْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١﴾.

ومرة يهدد بغضب الله صراحة (كما جاء في حديث الإفك) وتلك درجة أشد:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ۝ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ
هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ۝ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا
سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ۝ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝﴾ (١)

ومرة يهدد بحرب الله ورسوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا

بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۝﴾ (٢).
ودروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فاندبوا بحرب من الله ورسوله (٣).

ومرة يهدد بعقاب الآخرة : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَاعَفْ لَهُ
العَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝﴾ (٤).

ثم يهدد بالعقاب في الدنيا : ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ
قَوْمًا غَيْرَكُمْ ۝﴾ (٥) ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ (٦)

(١) سورة الحديد : ١٦ .
(٢) سورة البور (١٤ - ١٧) .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٧٨ ، ٢٧٩ .
(٤) سورة البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩ .
(٥) سورة الفرقان ٦٨ - ٦٩ .
(٦) سورة التوبة : ٣٩ .

﴿ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (١) ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢) ثُمَّ يُوَفِّقُ اللَّهُ الْعِقَابِ ﴿ الرَّائِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةً جَلْدَةً ﴾ (٣) ، ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾ (٤) .
 وهكذا يعالج الإسلام بالعقاب في الحالات التي لا تُعالج إلا بالعقاب .
 والقرآن قد أوضح لنا الخطة المحكمة للتنمية الأخلاقية حتى تتكون العادات الخلقية الصالحة .

والأخصائى التربوى الذى يُطبق العلاج الإسلامى عند تنشئة الأطفال وعند تعديل سلوك الأحداث المنحرفين قد يلجأ أحيانا إلى هذا الأسلوب كمحاولة أخيرة لتقويم الإنحراف وتنمية الأخلاق ، وخاصة وأن هناك صنف منهم لا ينصلح حاله إلا عن طريق الرغبة حيناً والرهبية أحيانا أخرى ، وأنه لابد فى إصلاحه من استعمال وسائل الترغيب والترهيب ، والأخصائى عندما يطبق هذه الأساليب العلاجية المختلفة لعلاج الأحداث المنحرفين فإنه يطبقها بما يناسب فرديتهم الخاصة ، وذلك بعد دراسة صفاتهم الشخصية ويعرف قدراتهم وإمكانياتهم ومدى استعدادهم وطرق التربية التى شيوا عليها ، وعندئذ يختار الأسلوب العلاجى المناسب لكل فرد منهم فليس من الضرورى أن يطبق كل أساليب التنمية الخلقية على الجميع وليس من الضرورى أن يطبق كل أساليب العلاج الإسلامى عليهم ، بل

(١) سورة النجى : ١٦

(٢) سورة التوبة : ٧٤ .

(٣) سورة التوبة : ٥٥ .

(٤) سورة البور : ٢ .

(٥) سورة المائدة : ٣٨ .

يختار منها ما يراه مناسباً للتأثير في كل فرد على حدة حتى ينجح في تغييرهم
ويتمكن من تعديل سلوكهم ، ويصل إلى تقويم انحرافهم ، ثم يعمل على تكوين
العادات الأخلاقية الصالحة ، التي تنمي الشخصية وتستمر في إنمائها .
والتنمية الخلقية ما هي إلا أحد أساليب العلاج الإسلامي ، والترغيب
والترهيب ما هي إلا أحد أساليب التنمية الخلقية ، وكل هذه الأساليب تتعاون
وتتفاعل وتتكامل لتحقيق أهداف التربية الإسلامية في تنشئة الطفولة .
والتربية الإسلامية تحرص على تطبيق كل هذه الأساليب في علاج الأحداث
المنحرفين حيث أنها اقتنعت بالعلاج الإسلامي ، فقد يكون فيه الأمل والرجاء
لينجح هذا الأسلوب في علاج المشكلات الاجتماعية وستكون المحاولة الأولى في
مؤسسات الأحداث المنحرفين في محاولة لتقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم (١) .

(١) انظر : محمد سلامة عباري : العلاج الإسلامي للأحداث المنحرفين - المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية

١- التنمية الأخلاقية بالأضداد: (المضادات الخلقية)

إن طريق التنمية الأخلاقية وتهذيبها عن طريق المضادات الخلقية هو أحد أساليب العلاج الإسلامى لكثير من الانحرافات والمفاسد الخلقية ، وقد نجح هذه الأسلوب فى علاج الأجسام عندما تُعالَج الحرارة بالبرودة ، والبرودة بالحرارة ... إلخ . فإن الأخلاق تُنمى أيضاً بأسلوب الأضداد ، وقد أشار إلى هذا الأسلوب العلاجى الإمام الغزالى عندما قال : " وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تُعالَجُ إلا بضعها ، فإن كانت من حرارة فبالبرودة ، وإن كانت من برودة فبالحرارة ، فكذلك الرذيلة التى هى مرض القلب ، علاجها بضعها فَيُعالَجُ مرض الجهل بالتعلم ، ومرض البخل بالتسخى ، ومرض الكبر بالتواضع ، ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفاً ، وكما أنه لا بد من إحتمال مرارة الدواء ، وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة ، فكذلك لا بد من إحتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب ، لأن مرض البدن يَحُلُصُ المرء منه بالموت، بخلاف مرض القلب فإنه ينوم ، كما أن كل مُبْرَدٌ لا يصلح لعله سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ، ويختلف ذلك بالشدة والضعف ، والدوام وعدمه ، وبالكثرة والقلة ، ولا بد من معيار يُعرَفُ به مقدار النافع منه ، فإنه أن لم يحفظ معياره زاد الفساد ، فكذلك الأضداد التى تُعالَجُ بها الأخلاق لا بد لها من معيار(١) " وكما أن الطبيب البشرى لا يستطيع أن يُعالج المريض بالسخونة إلا إذا عرف درجة حرارته ويفحص سائر بدنه ، كما أن عليه أن يعرف بينته وعمله ... فربما ارتفاع حرارته أو انخفاضها

(١) أحياء علوم الدين . مصدر سابق ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

راجع إلى طبيعة صناعية، أو مناخ بيئته ، أو نواح إجتماعية . فبالمثل بالنسبة للعلاج الإسلامى فلا يقتصر على نمط واحد من الرياضة النفسية . يُعجم على كل طالبى العلاج ، وربما إتبع المعالج طريقا مميّتا كان من أسبابه تلف نفسية طالب العلاج ، وماتت فى نفسه الرغبة فى العلاج ، وذلك من كثرة الأوامر والنواهى . إن يجب أن ينظر المعالج إلى حال المريض وسنه ومزاجه وعمله ، وما يمكن أن يحتمله وما لا يحتمله من تجارب ، وهذا رهن بقدراته واستعداداته قبل أن يبدأ فى العلاج (١) .
والنفس طبيعة لا تُصدّق فى طلبها ، وإنما غايتها أن تحق ما فيه لذتها ، وما يستجلب - فى زعمها - منافعها ... لذلك فإن العمل بضعها هو الطريق إلى الصحة النفسية .

والحب من خصائص النفس البشرية ، وربما تُحب شيئا وفيه شرها ، وربما تكره شيئا وفيه خيرها ، وما أحببت النفس شيئا إلا كان صاحبها عبدا له ، ينقاد إليه ، ويعمل لإرضائه ، إلا أن الله تعالى لا يُحبُّ أن يُحبَّ غيره ، ولا يرضى عن الغافل عنه ، الذى غرته الأمانى ، وغره بالله الغرور ، وفى ذلك يقول (الجنيد) : "إنك لن تكون على الحقيقة عبداً لله ... وفيك شيء مازال مسترق (عابد) لغيره . وانك لن تصل إلى الحرية ، وعلبك حقوق الله فى عبوديتك، فالملين مدينا ما بقى عليه درهم، ومحبة الشيء تلزمه العبودية له ، فاجعل محبتك خالصة لمن تلزمك عبوديته .
والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى لعلاج المنحرفين (٢)
عن طريق تربية الأخلاق وتهذيبها بأسلوب المضادات الخلقية . فإنه يسعى إلى

(١) عبد المجيد الشربوبى ، نوح الحكم العطاية ، ص ٨١
(٢) انظر محمد سلامة غبارى الحنمة الاجتماعية الإسلامية ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية

تعديل سلوكهم وتقويم أخلاقهم ، ورد إنحرافاتهم عن طريق هذا الأسلوب ، فالحدث المتهم بالسرقة يعالجه بالأمانة ، وذلك بأن يطلب منه الاحتفاظ له ببعض الأشياء ويأتمنه عليها ، ثم يحمله مسئولية أمانة صندوق إحدى جماعات الأنشطة بالمؤسسة، أو يحمل مسئولية الإنفاق على رحلة من الرحلات والتصرف فى ميزانيتها فى ميزانيتها ، أو يؤمنه على عهدة المؤسسة ، ويكلفه برعايتها ، أو يشركه فى بعض الأنشطة الفنية مثل التمثيل إن كان لديه استعداد لذلك ، ويسند إليه دور الأمين الذى يثق فيه الناس فى تمثيلية مختارة رسم أدوارها بدقة وعناية ، وكل ذلك والأخصائى الإجتماعى بجانبه يساعده تارة ويشجعه أخرى ، حتى تُصبح الأمانة عادة خلقية ويستمرارها تصير جزء من تكوينه وصفه من صفات شخصيته .

وهكذا يُعالج الأخصائى الإجتماعى مفاصد الأخلاق بأضدادها، فالجبان الخائف يُعالج بتعريضه لمواقف تتطلب الشجاعة، والكاذب يُعالج بالصدق ، والذى يشعر بالاضطهاد والظلم فى حاجة إلى الأمن والطمأنينة ، من خلال علاقة المحبة الصادقة التى تكونت بينه وبين الأخصائى الاجتماعى ، ومن خلال المحبة الصادقة التى يساعده الأخصائى الاجتماعى على تكوينها مع زملائه ورؤسائه بالمؤسسة وبذلك يستبدل الخوف بالأمن ، والكراهية بالحب ، والسلبية بالإيجابية ، والبشر بالخير ، والإلحاد بالإيمان ، وعندئذ تتغير أخلاقه وتهدب وتُصبح الحدث المنحرف حسن الطباع طيب الأخلاق ويعود إلى فطرته السليمة التى خلقه الله بها ، وتنجح التربية الإسلامية فى الأخذ بأيدي الناشئين والمنحرفين. وتوجههم إلى الطريق المستقيم ، طريق الهداية والحب والإيمان .

٢- التربية الإسلامية بالتنمية العقلية

٣ - التربية الإسلامية بالتنمية العقلية

التنمية العقلية أسلوب آخر من أساليب العلاج الإسلامي ، حيث إن العقل البشري طاقة من أكبر طاقاته ، ونعمة من أكبر نعم الله عليه : ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (١) .

(والفؤاد) يُستخدم في القرآن بمعنى العقل أو القوة الواعية في الإنسان أو القوة المدركة على وجه العموم (٢) ولذلك كرم الله الإنسان بهذا العقل وما أودعه فيه من قدرات كثيرة : منها القدرة على التعلم ، تثقيفا لهذا العقل وتسديدا لتفكيره وأحكامه . ولهذا جاء الإسلام يحض على النظر العقلي والتفكير حتى جعل التفكير ، والتعلم فريضتين إسلاميتين (٣) . ولذلك كان الدين الإسلامي دين علم ونور ، لا دين جهالة وظلمة . فأول آية نزل بها الوحي ، فيها أمر الرسول بالقراءة وتكرير لفظك الأمر ، وتذويته بشأن العلم والتعليم الذي تم إسناده إلى الله : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٤) .

(١) سورة الملك : ٢٣ .

(٢) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٨٩ .

(٣) الحل الإسلامي ضرورة وفريضة ، مصدر سابق ، ص ٥٠ .

(٤) سورة العلق : ١ - ٥ .

الإسلام دين الفطرة الذى يحترم الطاقات البشرية كلها ، ومن ثم فهو يحترم الطاقة العقلية وُشجعها ، ويربيها لتتجه فى طريق الخير، ويبدأ الإسلام التنمية العقلية بتحديد مجال النظر العقلى ، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبيات التى لا سبيل للعقل البشرى أن يحكم فيها ، وهو يُعطي الإنسان نصيبه من هذه الغيبيات ، بالقدر الذى يلى ميله للمجهول ، ولكنه يكلُ أمر ذلك إلى الروح فهى القادرة على ذلك . المزودة بوسائل الوصول ، أما العقل فوسيلته إلى الله وإلى معرفه الحق ، هى تدبير الظاهر بالحس، والمدرَك بالعقل ، ومن ثم يحدد الإسلام مجاله بهذا النطاق، ولا يتركه يغرق فى التيه الذى غرقت فيه الفلسفة واللاهوتيات، ثم بعد ذلك يأخذ فى تدريب الطاقة العقلية على طريقة الاستدلال المثمر ، والتعرف على الحقيقة ، فيتخذ إلى تلك وسيلتين : الوسيلة الأولى هى وضع المنهج الصحيح للنظر العقلى ، والوسيلة الثانية هى تدبير نوااميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط (١).

ويعد أن أعطى الإسلام كل هذا الاهتمام للتنمية العقلية اهتم أيضاً بتثقيف هذا العقل ، وتسديد تفكيره عن طريق العلم ، والعلم فى نظر الرسول - ﷺ - قوام الدنيا وقوام الدين حيث قال : "من أراد الدنيا فليعلمها بالعلم ، ومن أراد الآخرة فليعلمها بالتعلم ، ومن أردهما معا فليعلمها بالعلم" ، كما دعا "الرسول" إلى التعليم ، والبحث والإطلاع فقال : "لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد عليم فقد جهل" ، ولذلك صار طلب العلم فريضة على كل مسلم

(١) منهج التربية الإسلامية ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

ومسلمة وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١) .

فالعلم خير أنيس لمن كان وحيدا ، وأحسن صديق في الوحدة ، يُعوِّد الإنسان الصبر على السراء والضراء ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والسعادة والشقاء ، ويساعده على نيل ما يريد ، ويجعل البعيد قريبا ، والقريب صديقا ، يُحیی القلوب ويُنبِر الأبصار ، وقد قال الرسول - ﷺ - "إن الحكمة تزيد للشريف شرفا، وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك" وكفى العلم رفعة قول الله جلت حكمته: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيُلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (٢) . والتعليم الحق يؤدي إلى راحة في العقل ، وإضاءة في الفكر ، وتفهم حقائق الأمور ، والأخذ بأحسن الأعمال ، والعادات ، والتحلى بأكمل الأخلاق ، ويُعوِّد المتعلم التفكير العميق ، ويقوده إلى الإبتكار والإختراع والنظر في الكائنات والمخلوقات

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿﴾ (٣) .

(١) سورة الجمعة : ٢ .
(٢) سورة القصص : ٨٠ .
(٣) سورة العنكبوت : ١٧ - ٢٠ .

وقد أوضح النمر القرطبي فوائد العلم فى قوله: "أطلب العلم فإنه عون فى الدين ، وفرك للقريحة ، وصاحب لدى المحنة ، ومفيد للمجالس وجالب للمال".
 أما فوائد العلم فى نظر إخوان الصفا: "العلم يُكسب صاحبه عشر خصال محمودية: أولها الشرف وإن كان دنيئاً ، والعزوان كان مهيناً ، والغنى وإن كان فقيراً ، والقوة وإن كان ضعيفاً ، والنبل وإن كان حقيراً ، والقرب وإن كان بعيداً ، والجود وإن كان بخيلاً ، والحياء وإن كان صلفاً ، والمهابة وإن كان وضعياً ، والسلامة وإن كان سفياً".

واهتمام العلاج الإسلامى هذا الاهتمام الكبير بالتنمية العقلية يرجع إلى قول كثير من العلماء بأن العامل المؤثر فى تكوين العقيدة هو العقل ، فما دام الارتباط بين العقل والعقيدة قائماً على أوثق وجه ، كان لابد من إرجاع العقيدة فى تكوينها وتكيفها وأوجه التأثير فيها إلى عامل العقل (١) والعقيدة الدينية لشدة فاعليتها وقوة سلطانها على الأفراد والجماعات احتلت المكانة الأولى فى دائرة النفوذ بين غيرها من العقائد ، خاصة إذا كانت راسخة ثابتة تقوم على إدراك واضح وعلم يقينى .

وإهتمام العلاج الإسلامى بالتنمية العقلية يرجع لما لها من تأثير كبير فى تكوين شخصية الفرد ، وذلك عن طريق العناية بقيادته الفكرية (العقل) وصيانتها من كل ما يلحق بها ، أو يؤثر فيها تأثيراً ولو طفيفاً فى قدرتها على التمييز بين

(١) الضنية والأخلاق ، مصدر سابق ، ص ٥٦ .

الحق والباطل في المعتقدات . والخطأ والصواب . أو الضار والنافع ، في التصرفات ،
قوله كانت أو فعلية

ولهذا كله لجات الخدمة الاجتماعية إلى العلاج الإسلامى لتقويم المنحرفين .
وتعديل سلوكهم متبعة فى ذلك كل أساليب العلاج الإسلامى ومنها التنمية
العقلية ، حيث أن هؤلاء المنحرفين ، قد اضطرب تفكيرهم وعجزت عقولهم عن التمييز
بين الحق والباطل فى المعتقدات ، والخطأ والصواب ، ولذلك إنحرفوا ، وعندئذ
ظهرت الحاجة الملحة إلى تنمية عقولهم والعناية بها وصيانتها حتى يستقيم تفكيرها .

ولذلك يحاول الأخصائى الذى يطبق العلاج الإسلامى مساعدة هؤلاء
المنحرفين على الاستفادة من الفرص التعليمية إن كانت موجودة بأكبر قدر ممكن .
أو يحثهم على إستكمال تعليمهم إن كانوا توقفوا عن التعليم ، مستعينا فى إقناعهم
بعلاقة الحب والمودة التى كونها معهم ، كما أنه يستطيع تنظيم بعض البرامج
والأنشطة لمحو أمية الأمين منهم ، والإستعانة ببعض الخبرات الكثيرة التى تساعد
على تعديل السلوك المنحرف .

ولكى يُحقق الأخصائى الاجتماعى الهدف من التنمية العقلية فى علاج
المنحرفين فإنه يمارس معهم عمليات تعليمية وتربوية . وخاصة وأن العميل العربى
يحتاج لهذا النوع من العلاج لأميته ، وهو فى حاجة إلى المعرفة والوعى ، ولذلك فإن
الأخصائى الاجتماعى يتحمل مسؤولية تزويد هؤلاء العملاء ببعض الخبرات التى
تؤدى إلى تعديل السلوك بطريقة مباشرة بحيث تنصهر تلك الخبرات فى ذات

العميل فتتعدل عاداته ، ولا أصبح التعلم مجرد تلقين سطحي لا يلبث العميل أن يتجاهله عند زوال الموقف .

وأساليب الأخصائي لتعليم هؤلاء المخرفين يمكن حصرها فيما يلي (١) :-

١- أسلوب التنبيه :

" التنبيه هو الأسلوب الذي يُمارسه الأخصائي الاجتماعي لإيجاد الدافع للتعلم ، فوجود الدافع شرط أساسي لتحريك طاقة العميل وتوجيهها وجهة خاصة ، ويتم التنبيه بوسائل مختلفة أهمها: توضيح فوائد التعلم ، ثم توضيح أخطار عدم التعلم ، ثم إتاحة فرصة التعلم ، وتتم هذه العمليات تصريحا أو تلميحا حسب درجة نضج العميل ودرجةفاعليته (٢) .

٢- أسلوب التوضيح :

أسلوب التوضيح يعقب أسلوب التنبيه ، حيث يتطلع العميل إلى الخيرة والمعرفة تلقائيا ، سواء كانت خبرة خاصة بالمؤسسة أو بالأخصائي الاجتماعي أو بالموقف ، أو بجوانب عامة مرتبطة بالتنشئة الاجتماعية ، وللتوضيح ثلاث مناطق رئيسية هي : تزويد العميل بمعلومات جديدة ، كتعريف الحدث طريقة الإستفانة من خدمات المؤسسة ، أو تفسير لأسباب موقف معين ، أو توضيح أسباب حرمان الحدث من الخروج من المؤسسة ، أو تصحيح معلومات خاطئة لدى العميل ، أو كتصحيح معلومات الحدث وتفهيمة بأن إخلاء سبيله ليس رهنا بقضاء مدة

(١) عد الفتاح عثمان : خدمة الفرد في المجتمع النظم - مكتبة الإحنو المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ ، ص ٣٧٨

(٢) خدمة الفرد في المجتمع التامى ، د / عد الفتاح عثمان ، المرجع السابق ، ص ٣٧٩ .

العقوبة ، بل يتحسن سلوكه حسب تقدير المؤسسة ، أو توضيح ما يعمُضُ عليه من أساليب التنبيه السابقة التي يصعب على الحدث فهمها وتكون سبباً في مقاومة عملية التعلم .

٣- أسلوب الإقناع :

الإقناع هو تأثير عقل على عقل آخر ، وهذا الأسلوب يمارسه الأخصائى الاجتماعى عندما تلقى الخبرة المعرفية مقاومة من العميل ، مع مراعاة أن يكون هذا التأثير معتمداً على المنطق والواقعية وحسن التقدير ، وهذا الأسلوب يتطلب من الأخصائى الاجتماعى رحابة الصدر، واللباقة عند مناقشة العميل فى المعتقدات الخاطئة ونواحي عدم صوابها ، كما أنه يمارس مع العميل الذى يتمتع بقدر مناسب من النكاه وتكامل الشخصية .

٤- أسلوب التعميم :

إن استجابة العميل لأساليب التوضيح والإقناع يتحدد بناءً على ما يعقبها من تعميم أو ما يعقبها من تثبيط ، والمقصود بالتعميم هو مكافأة الفعل أو الثواب الذى يعقب الاستجابة .

٥- أسلوب التعميم :

والتعميم هو العملية النفسية المسئولة عن نقل ما اكتسبه العميل من عادات جديدة فى موقف معين إلى غيره من المواقف المتشابهة ، والأخصائى الاجتماعى لا يهدف إلى إكساب العميل عادات معينة فحسب ، بل يتطلع إلى

ينتقل أثر السلوك إلى العديد من المواقف سواء واجهته أو واجهت آخرين من المحيطين به (١).

والأخصائى الاجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى للمنحرفين بالتنمية العقلية يحاول مساعدتهم على دراسة القرآن الكريم ، والأحاديث ، والأخبار ، وحفظ الشعر ، وهى وجهة نظر الإمام الغزالى فى التنمية العقلية للطفل . والأخصائى الاجتماعى يستخدم فى ذلك أساليب التعلم السابق ذكرها فعن طريق (التنبيه) يحاول إيجاد الدواعى إلى دراسة القرآن والأحاديث وذلك (بتوضيح) فوائد تعلم هذه الأمور ، بعد توضيح خطورة عدم التعلم ، ثم يتبع لهم الفرص المناسبة للتعلم ، من خلال الأنشطة المختلفة التى يُخططها ويُنفذها ، مستعينا فى ذلك بالخبراء والمختصين فى تعليم هذه الأمور الهامة ، وبذلك يُحرر طلاقة هؤلاء الأحداث ، ويُوجهها الوجهة التى تتقف عقولهم ، وتوسع مداركهم ، وتسدد أحكامهم وأفكارهم ، وبذلك يُعدّل سلوكهم ، ويُقوّم إنحرافهم .

وبعد أن تتم عملية (التنبيه) يقوم الأخصائى الاجتماعى بتوضيح وتبسيط كل ما يراه المنحرفون غامضا ، سواء بالنسبة للمؤسسة ، أو بالنسبة للموقف ، أو بالنسبة للجوانب المرتبطة بالتنشئة الاجتماعية ، وبذلك يزودهم بكثير من المعلومات الجديدة التى يحتاجون إليها ، أو يصحح لهم بعض الأفكار والمعلومات الخاطئة ، وبذلك يساعدهم على إكتساب خبرات جديدة ، تساعدهم على تعديل السلوك المنحرف .

(١) خدمة الفرد فى المجتمع العلمى ، نفس المرجع ، ص ٣٨١ .

وبعد أن تتد عملية التوضيح يقوم الأخصائى بعملية الإقناع ، مستغلا ثقتهم فيه ، ومحبتهم له ، ويحاول التأثير فى عقولهم حتى لا يُقاوموا تلك الخبرات الجديدة ، وخاصة إذا كانت متصلة بتصحيح معتقدات خاطئة ، أو بتدعيم المعتقدات الدينية ، أو فى تكوين اتجاهات جديدة ، وهو فى كل ذلك معتمدا فى إقناعه على المنطق والواقعية وحسن التقدير ، وهكذا ينجح فى تنمية عقولهم وثقتيها ، وعندئذ يسهُل تقويم الانحراف وتعديل السلوك .

وبعد أن يقوم الأخصائى الإجتماعى بعمليات التنبيه والتوضيح والإقناع ، يقوم بالعمليات التدميمية اللازمة التى من خلالها يكافىء من يستحق المكافأة ، عن طريق التشجيع والتقدير أو بعض المكافآت المادية ، عندما يلاحظ أى تقدم فى العملية التعليمية . ثم بعد ذلك تتم العملية الأخيرة وهى التعميم الذى عن طريقه يساعد الأخصائى الاجتماعى كل منحرف على الإستفادة من الخبرات الجديدة ونقلها وتعميمها إلى المواقف المتشابهة ، وعندما ينتقل أثر السلوك إلى العديد من المواقف المتشابهة التى تواجه العميل سواء فى المؤسسة أو فى البيئة ، سيصبح قادرا على التوافق مع المجتمع بعد أن تم علاجه وشت شخصيته .

وبذلك يتضح لنا أن التنمية العقلية كأسلوب هام من أساليب العلاج الإسلامى ترتبط إرتباطا وثيقا بالتنمية الخلقية ، وكلاهما مرتبط بدرجة كبيرة بتنمية العقيدة الدينية ، وكلها أساليب هامة من أساليب العلاج الإسلامى الذى تستعين به الخدمة الاحتماعية فى علاج الانحراف وعلاج أى مشكلات أخرى .

٤- العلاج الإسلامي بتنمية القيم الاجتماعية:

- أ- العلاج الإسلامي بالحسب .
- ب- العلاج الإسلامي بالتعاون .
- ج- العلاج الإسلامي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- د- العلاج الإسلامي بتطبيق الحدود الشرعية .

٤- العلاج الإسلامي بتنمية القيم الاجتماعية

بجانب ما للدين من وظائف فردية تجعل منه غذاءً ضرورياً لتقوى النفس وعصارة مقوية لحيويتها ، توجد له وظائف إجتماعية لا يكون موضوعه الفرد وحده وإنما يكون موضوعها المجتمع ككل . ويكون لها شأن كبير وأثر خطير في حياة الجماعة. لا يقل عن أثرها النفسى على الفرد ذاته أن لم يفقه (١) .

والإسلام كما إهتم بالتنمية الخلقية والعقلية والدينية ، إهتم أيضا بالتنمية الإجتماعية إهتماما كبيرا لما لها من أثر على الفرد والمجتمع ، وقد أوضح لنا الإسلام مجموعة من الأساليب العلاجية التى عن طريقها يتم العلاج بالتنمية الاجتماعية نوردها فيما يلى :

أ- العلاج الإسلامى بالحب :

تبنى التنمية الاجتماعية على أساس عواطف إجتماعية أهمها المحبة كإحتياج أساسى لكل إنسان ولا بد من إشباعه ، وبذلك يُصبح الإنسان على إستعداد لمحبة الآخرين ، حتى تبعده عن الضيق منهم. والتبرم والسخط عليهم وحتى لا يصير عدوانيا ، يصب عداونه على المجتمع بصفة عامة ، وعلى نفسه فى أحيان كثيرة ، فيعوجُّ سلوكه ويُصبح إنسانا منحرفا ، فالحب هو الحصن المنيع الذى يحى الإنسان من أى إنحراف أو إدمان ، ففيه الوقاية ، وفيه العلاج .

(١) العقيدة والأخلاق ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

ولذلك إهتم العلاج الإسلامى بإشباع تلك العاطفة السامية التى إن صَلَّحَتْ صَلَّحَ كل شىء ، وإن طَلَّحَتْ فسد كل شىء ، فبدأ بال تأكيد على محبة الوالدين لما لها من أثر على الصحة النفسية للفرد ، ثم أضافت عليه ينبوعا لا ينضب من ينبوع العاطفة الصادقة ، وهو محبة الله الذى أنعم علينا ، والذى يرحمنا فى المحن ، عندما نلجأ إليه وندعوه فيكشف السوء ، وعلى أساس محبة الله يُحب المؤمن كل من يشاركه الولاء ، لله ومحبة الله وطاعته ، والإنقياد لشريعته ، والإعتزاز بالسير تحت لوائه ، وهذا ما يسمى بالحب فى الله ، وله فى النفس أثر عظيم وسعادة نفسية كبيرة ، قال فيها بعض الزهاد "لو يعلم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه" وهذا إقتباس لطيف وتصديق واقعى لما رواه أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ إنه قال : "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يُحِبَّ المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف فى النار(١) .

وقد جعل رسول الله ﷺ محبة قوم ثبتت نصرتهم لله ورسوله من علامات الإيمان ، وبغضهم من علامات النفاق ، عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال "قال فى الأنصار: لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم أحب الله ومن أبغضهم أبغضه الله" (٢) . كما جعل مصير الإنسان يوم القيامة مرتبطا بمصير من يُحِبُّهم ويتعلق بهم ، ويرتبط بهم برياطا إجتماعى فى

(١) الإمام يحيى ابن شرف النووى ، رياض الصالحين ، ص ٨٧ ، ج ٣ .
(٢) نفس المرجع ، ص ٧٨ ، ج ٣ .

الدنيا ، ويعمل بعملهم ويبذل من أجلهم ، ولذلك لن ينحرف أبداً من يربط الحب بينه وبين أسرته ومجتمعه وريبه .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "إن من عباد الله ليسوا بأنبياء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل من هم لعلنا نحبهم ؟ قال هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب، ولا يحزنون إذا حزن الناس " ثم قرأ " **﴿الْأَيْنِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (١) ، رواه النسائي وابن حبان فى صحيحه .

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى الساعة ؟ ، قال "وما أعددت لها؟ قال لا شيء إلا أنى أحب الله ورسوله قال : " أنت مع من أحببت" ورواه البخارى ومسلم (٢) .

إن الحب فى الإسلام يستمد وجوده من الحب الإلهى ، فإذا تحققت منه لذة فهو وسيلة لغاية مراده لله ، وليست اللذة من أجل اللذة ، إنما هى ثمرة لإتباع أمر الله ، كما أنه إذا بغض شيئاً ، فإنما يبغضه بأمر الله ، لأن فيه إسراف أو إفساد أو خيانة أو إثم أو اعتداء أو ظلم ، فالبغض ما يبغضه الله وينهى عن فعله ، كما ورد فى كتابه الكريم ، والحق أن الإنسان إذا تجنب الآفات من غرور ونفاق وعدوان وشهوات ، واعتدل مزاجه ، واستقامت حياته وصفت نفسه ، وسمت روحه ، فيصبح كالنبع الصافى ، يستمد من حوله منه النضرة والحياة ، وبدون المحبة تُصبح

(١) سورة يونس : ٦٢ .
(٢) الترغيب والترهيب ، ج ٣ ، ص ٢٦٢

النفس ظالمة مظلومة . تفسد أخلاقها . وتزداد أحقادها . وتصاب بالأمراض والأوجاع . ويتصدع بناؤها . لذلك كان الطريق الذي رسمه الله تعالى للصحة النفسية يتحقق بالحب التي غايتها الإعراض عن السيئات ، وإتباع الحسنات وفعل الطيبات من أمر بمعروف ونهى عن منكر (١) .

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢)

كما أشار الرسول ﷺ إلا بأن يصل الإنسان من قطعه . ويُعطى من حرمة ويعفو عن ظلمه . والأخصائى الإجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى مع المشككين والمنحرفين عن طريق التربية الاجتماعية بالحب . فإنه يبدأ بنفسه أولاً . فعمله معهم وتأثيره فيهم يرتبط ارتباط وثيقاً بحبه لهم وحبهم له . فهو يُحبهم فى الله ولذلك يشقى ويتعب من أجلهم . ويبذل الجهد ويضحى بالوقت فى سبيل علاج مشكلاتهم . وهو لا ينتظر من وراء ذلك جزاءً أو شكوراً ، فأجره على الله وجزاءه من الله . وحبه فى الله والله .

وعندما ينجح الأخصائى الاجتماعى فى اكتساب حبهم فسيصبح القوة الحسنة أمامهم ، فيتعلمون منه الحب ، ويبدأون بحبه . ثم يحبون بعضهم البعض ثم ينتشر الحب حتى يشمل كل الناس ويعم المجتمع ، وعندئذ تصفوا قلوبهم وتتطهر نفوسهم . وُقُوم انحرافهم ويتعدل سلوكهم .

(١) نحو علم نفسى اسلامى . مصدر سابق ، ص ٢٠٧ .
(٢) سورة الأعراف : ١٩٩ .

فالحياة من المحبة تحقيق صحة الإنسان النفسية فى الدنيا والآخرة وذلك ببرد الكراهية بالمودة ، ومقابلة الإعتداء بالصفح الجميل ، ومجابهة الظلم بالعفو وإذا وصل الإنسان إلى هذه الدرجة من سمو الأخلاقى ، والصفاء النفسى ، يستطيع أن يحيل الظلام نوراً ، والشر خيراً ، إن الحب قوة سحرية تُمزق غيوم الأحقاد فتُزال الغمة عن القلوب ، ويهتدى الإنسان إلى سبيل الخير والرحمة ، فيُعين الضعيف ، ويعود المريض ، ويُزكى النفس بأعمال البر والمعروف . فيبتعد عن غواية الشيطان ، ويأمن من مكائده وفسائسه ، ويقالِب أهواء النفس الأمارة ، وهنا يرضى عنه الله ويحبه ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (١) ، "رضى الله عنهم ورضوا عنه" (٢) .

فللمحبة إذن إرتفاع عن الشهوة ، وارتقاء فوق الحاجات المادية ، وهى نقله من الحب الضيق إلى حب الله . ومن الله وبالله ، والله (٣) .

ب - العلاج الإسلامى بالتعاون :

من المقرر أن الحياة فى أى جملة من الجماعات لا تقوم بون أن ينحقق التعاون بين أفرادها ، وهذا التعاون لابد من أن يُنظَّم وتوضع له الروابط والضوابط التى تجعل منه عملاً نافعاً مثمراً ، وتقيمه على أسس من العنل والمحبة والإخاء (٤) .

قال الله تعالى : ﴿ وَتَمَآوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَمَآوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْمُنُونِ ﴾ (٥) فالله يأمر بالتعاون على البر . وعمل الخير ، ومعاونة المعوزين

(١) سورة المائدة ٥٤ .

(٢) سورة المائدة ١١٩ .

(٣) نحو علم نفس الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

(٤) العنلة والأخلاق ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

(٥) سورة المائدة - آية ٢ .

والعاجزين والمساكين . كما يأمر بالتعاون على التقوى والعمل الصالح ، وينهى عن التعاون على الإثم والشر والعدوان .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ : إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُنُودٌ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (١) .

فمن تمسك بالإيمان وفعل الخير . والتزم بالحق والصبر نجح في حياته وعمله . ولن تهلك أمة يتوصى أفرادها بالإيمان ويتناهون عن الباطل ، وكثيرا ما سقطت الأمم لأن أبناءها كانوا لا يجدون من يرشدهم إلى الطريق المستقيم وينهاهم عن الشرور التي يرتكبونها ، والآثام التي يفترونها .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال " واللّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" .

إن الفطرة البشرية قد جعلت تحقيق الخيرات لا يمكن أن يستقل به إنسان، ينفرد بها بنفسه ويكون في معزل عن الناس . فلقد كان من مقتضيات الطبيعة البشرية والفطرة الإنسانية أن يتعاون الناس على تحقيق خيراتهم مجتمعين ، كلٌ يقوم بما يختص به من فروعها ونواحيها ، لذلك كان من المحتم ، بل ومن أوجب الواجبات على الناس أن يُجِبَّ بعضهم بعضا ، وبدون تلك المحبة ينفرد عقد المجتمع وتذهب كثير من الخيرات (٢) .

(١) سورة العصر

(٢) العقيدة والأخلاق ، نفس المرجع ، ص ٢٤٩

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تحمل وعد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتأييد ، وعلو الكلمة ونفوذ السلطان ، ولكنها لم تجعل هذا الوعد منحة تنزل عليهم من السماء لمجرد أن يقولوا ربنا الله ، أو لمجرد أنهم ينتسبون إلى دين أو كتاب أو رسول ، وإنما جعلها لمن عرف وأجب الإيمان فى حق نفسه ، وحق جماعته ، ثم أخلص فى القيام بهذا الواجب ، فزكى نفسه ، وعاون جماعته بما رسم الله فى كتابه ، وعندئذ يكون قد أوفى بعهده لله فىوفى الله بعهده له (١) .

﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾ (٢) وهكذا يكون النصر حليف التعاون .

وقد سمعنا وقرأنا كثيرا كيف أضرت التنمية الاجتماعية بالتعاون فى صدر الإسلام ، عندما كان المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، فقد كانوا متعاونين متحابين ، ولذلك لم يقف فى طريقهم شىء ، واندفعوا رافعين راية الإسلام حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس .

وقد ربط الله واجب الإيمان فى النفس والجماعة بأسس من واقع الإنسان وهو : أن للإنسان شخصيتين : شخصية أنفرادية بها يُخاطَب ، وبها يُكَلَّف ، وبها يتصرف فى شئونه الخاصة فى دائرة أحكام الله وإرشاده ، وبها يُسأل عن نفسه أين وضعها ؟ وعن عمله ماذا قصد به ، وعن ماله قيم أنفق؟ وعن عمره فيما أفنائه وإذا ما أدى الإنسان واجب الإيمان بإعتبار شخصيته الانفرادية ، فقويت عقيدته

(١) من توجيهات الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٩٤ .
(٢) سورة البقرة : ٤٠ .

فى الله وركت نفسه بالخلق الفاضل . أُعِدَّت لتكون عنصرا إيجابيا فى الشخصية الإجماعية والإعلاء من كلمته وسلطانة (١) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يعالج المنحرفين عن طريق بعض الألعاب الرياضية التى تتطلب روح الفريق ، والتى لا بد أن يتعاون فيها العضو مع بقية أعضاء الفريق . وعندئذ يعرف قيمة التعاون بالممارسة ، ثم يدرسه على التعاون عن طريق تحمل بعض المسئوليات الجماعية ، مثل مسئولية الإعداد لرحلة بعد تقسيم المسئوليات ومعرفة كل عضو لمسئوليته التى تُكْمَل المسئولية الجماعية ، أو توزيع مسئوليات الإشتراك فى حفله والإعداد لها ، وفى كل ذلك يُوضّح لهم الأخصائى الإجماعى قيمة التعاون وأثاره الإيجابية ونتائجه الطيبة على الفرد والجماعة وبعد ذلك يتدرج معهم الأخصائى فى إسناد بعض المسئوليات إليهم خارج المؤسسة على أن تكون مكملة لمسئوليات أخرى فى مكان آخر ، وعندئذ يعرف الفرد قيمة التعاون خارج المؤسسة كما عرفها داخل المؤسسة ! وبالتالي يعرف قيمة التعاون بالنسبة للمجتمع ككل . وبعد ذلك نجده يُقلع عن السلوك المنحرف ويبعده عنه ويتجه إلى البناء بدلا من الهدم ، والنماء بدلا من الضياع ، والإيجابية بدلا من السلبية ، ويُصبح إنسانا صالحا متعاوننا فى حقوقه وواجباته ، ويصير لبنة من لبنات المجتمع .

(١) من توجيهات الإسلام ، نص المرجع ، ص ٢٩٥ .

وهكذا نرى كيف يهتم العلاج الإسلامى ببناء الشخصية الإجتماعية للإنسان التى تجعله يتبادل والجماعة الحقوق والواجبات، خاصة إذا كانت تلك الجماعة كالأسرة . وبيئة العمل ، أم عامة كالمجتمع الوطنى والإنسانى ، وفى سبيل تنمية الشخصية الإجتماعية للإنسان قرر الإسلام العدل والمساواة والتعاون والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وقرر فى كل ذلك مسئولية الجماعة عن الفرد ومسئولية الفرد من الجماعة (١) .

ج- العلاج الإسلامى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

بعد أن أكد الإسلام أهمية التعاون كأسلوب هام من أساليب تنمية الشخصية الإجتماعية ، الذى يهدف إلى ضبط السلوك الإجتماعى وتعديله . أكد على أسلوب آخر وهو أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالأمر بالمعروف وسيلة إصلاح الأفراد والجماعات والمجتمع ، كما أن النهى عن المنكر وسيلة يستطيع بها من أتى منكراً أن يجد من ينهاه عنه ، ويُرشده إلى الصواب . وبأمره بالمعروف ، فيحتدل ويفيق إلى الحق ، وهو أسلوب رائع جميل فيه المحبة للناس وفيه المحبة للفضائل ، وفيه الكراهية للذنائب ، ومَنع الناس من أذائها . وقد ورد الحديث الشريف " من رأى منكم منكراً فليغيره " وهذا الأسلوب لو أهمله المسلمون لعمهم البلاء وفسد المجتمع . فقد قال الرسول ﷺ " ما أقر قوم المنكرين أظهرهم إلا عمهم الله بعذاب محتضر " وهذا الأسلوب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يشترك فى أدائه الأفراد فى المجتمع فى المجال الفرد والهيئة الحاكمة فى المجال

(١) من توجيهات الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

الجماعى وقال الرسول ﷺ : "لتأمرن بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعوا خياركم فلا يُستجاب لهم" (١) .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢) فالله أمر بالدعوة إلى الإسلام وفعل الخير من صدقة، وإيثار وترايط وتضامن ، وأمر بالمعروف وهو ما إستحسنه الشرع : كالتواصى بالحق ، والحرمة ، والإحسان ، والصبر ، والنهى عن المنكر ، وهو ما استنبحه الشرع : كالظلم ، وعدم إخراج الزكاة ، وكالخبائنة والغدر والمكذب .

د- العلاج الإسلامى بتطبيقات الحدود الشرعية :

المرحلة الاجتماعية الأخيرة فى ضبط السلوك وعلاج الإنحراف هى الحدود الشرعية ، فمن الناس من لا ينفخ معه وازع العقل ، ولا وازع الضمير ، ولا وازع الترهيب ، ولا وازع الكفارات ، والمحاسبة الشخصية على الأخطاء المستورة ، وكان سلوكه مُتَوَجِّحًا حتى احتاج إلى من ينهه عن المنكر ويأمره بالمعروف ، فلم يرتدع ، وأصبح مصدر عدوان على نفسه وعلى المجتمع ، فلا بد هنا من حدود وقائية وعلاجية تُشَرِّعُ ، لإكراهه بالقوة إلى اتخاذ المسلك الحسنه ، فيُقَام عليه الحد . وأسلوب الحدود الشرعية هو أسلوب الحاكم وحده ، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، فأعطى الله السلطان تنفيذ حدود الله وقد قال تعالى : "ولكم فى القصاص حيلة يا أولى الألباب لعلمكم ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٣) .

(١) روح الإسلام ، مصدر مفيق ، ص ٢٥٤ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٣) سورة البقرة : ١٧٩ .

فمن قتل يُقتل ، ومن سرق يُقطع يده ، ومن كان متزوجا وزنى يُرجم ، ومن شرب الخمر يُجلد .. وهكذا باقى الحدود، فالحدود تطهير للشخص مما ارتكب من الذنب ، وحفظ المجتمع من الفساد والرنيلة . إذ أن الحدود جواهر ، أى تجبر ما حصل من الإنسان ، وتكون داعية للاعتبار بها ، كما أنها زاواجر للناس ، فمن فضل الله أنها جواهر لمن يرتكها ، وزواجر لمن يفكر فى الإتيان بها ، وبدلك يُحفظ المجتمع من الفساد والإفساد . وهكذا يُصبح الفرد رقيبا على نفسه وعلى المجتمع ويُصبح المجتمع رقيبا على الأفراد (١) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى فى علاج الأحداث المنحرفين يجد فى تنمية الشخصية الإجتماعية أسلوب مؤثرا فى العلاج . فأسلوب التنمية الإجتماعية بالتعاون يستطيع الأخصائى من خلاله تربية الحدث على تحقيق الخير والبر والعدل ، دون تعصب ، وقضاء حلجات الناس ، والتفريج عنهم وستر عيوبهم ، ونصحهم على إنفراد ، إن كانت من العيوب التى يمكن تركها وهكذا يقربى الحدث فى مجتمع قائم على الإيثار ، بعيدا عن الأثرة ، مبنى على مساعدة الآخرين من أجل الحق والخير . والأخصائى الاجتماعى هو القدوة والمثل الأعلى الموجود أمامهم فيتقمصون منه هذه الصفات .

أما أسلوب التنمية الإجتماعية عن طريق الحب ، فالأخصائى الاجتماعى يعتمد فى عمله كله على العلاقة الطيبة التى يكونها بينه وبين هؤلاء الأحداث وهى علاقة حب صادق ، ومودة خالصة والتى يلمسها الأحداث ويحسون بها بل

(١) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والنفس ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤

ويعيشونها ، وعندئذ يعمون الحب الآخرين الذين يتعاملون معهم . بعد أن افتقدوا الحب وحُرِّمُوا من المودة . وكان ذلك من أسباب انحرافهم . ثم يتدرج هذا الحب إلى أن يصل إلى أعظم درجاته ، وهي المحبة الصادقة لكل الناس ، تقرباً إلى الله واكتساباً لمحبهته .

ويستطيع الأخصائى الاجتماعى تحقيق ذلك عن طريق بعض الأنشطة والبرامج المختلفة التى تُحقق هذه الأهداف ، فمثلاً يصطحب الأخصائى مجموعة من الأحداث لزيارة أخ لهم فى الله . أو عيادة مريض ، أو اجتماع على ذكر الله أو طلب العلم .. والأخصائى يخطط العديد من الأنشطة التى تدور حول هذا المعنى وتُحقق تلك الأهداف . وبهذا يُزَيِّى عند الأحداث عاطفة الحب فى الله فيجربون لَنُتْها ، ويستمتعون بممارستها ، ولا يستطيعون تركها، والحب الصادق ، والمودة الخالصة لله والناس من أنسب الأساليب العلاجية وأنجحها لتقويم الإنحراف . وتعديل السلوك ، وتنمية الشخصية .

أما التربية الاجتماعية عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن الأخصائى يمارس هذا الأسلوب معهم . ويستقله ليعيد المنحرفين إلى فطرتهم الطاهرة ، ويصونها عن التدنس ، والأخصائى الاجتماعى يستغل هذا الأسلوب ليغرس فى قلوبهم معانى الإيمان بشتى الطرق ، وفى مختلف المناسبات . فهو يلفت أنظارهم إلى كل ظاهرة من ظواهر الكون الدالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته . وبعد ذلك يوجه سلوكهم لأداب الإسلام . ويعلمهم كيف يعبدون الله

وكيف يتقربون إليه ، وينصحهم بالإرتباط بالمساجد ، ويوجههم إلى الفوائد العظيمة التي تعود عليهم من ذلك .

والأخصائى الإجتماعى يستطيع نلك من خلال الأنشطة والبرامج الدينية التي يعدها لهم ، مثل الندوات والمحاضرات ، التي يدعو إليها الخبراء والمختصون من رجال الدين الذين يوضحون لهم ويشرحون لهم تلك الأمور والجوانب الدينية ، ثم عن طريق التمثيليات الدينية الهادفة ، والأمثلة الدينية ، والقصص القرآنية التي يستخلصون منها الدروس والمواظ ، بالإضافة إلى إصطحابهم إلى الصلاة فى المسجد وخاصة صلاة الجمعة ، والإستماع إلى خطبها ، ومناقشتهم فى موضوعها وتفسيرها وتبسيطها لهم ، ثم يحذروهم وينهاهم عن جليس السوء ، ورفقاء الإنحراف ويختار لهم مجالس الصالحين ، والرفقة المؤمنة ، والأتراب والأنداد الذين ربوا تربية صالحة ، مع إنشغال مجالسهم ومجتمعاتهم بما يرضى الله ، وينلك يزكى نفوسهم مما يُنكسها أو مما يُضَيِّع أوقاتهم فى غير طاعة أو فائدة عملية . أو كسب دنيوى حلال . عملا بقوله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

أما عن التنمية الاجتماعية عن طريق الحدود الشرعية فإن الأخصائى الاجتماعى ما هو إلا ممثلاً للمجتمع ، يطبق آدابه ، ويرتبط بقيمه ، ويرجع إلى أمر الله ، ويحكم شرعه فى تنظيم المجتمع ، حيث أن ذلك يُعتبر من أهم مصادر الروابط والأهداف الاجتماعية ، لأنه يهدف إلى تنمية الأفراد وتأديبهم بطلب مرضاة الله فإذا انحرف الفرد عن هذا الهدف أدانه المجتمع ، وأصبح من حق الأخصائى الاجتماعى أن يتخذ معه شتى الأساليب التربوية كمحاولة أخيره للتأثير فيه أو تغييره ، وإذا لم تُجِد معه كل هذه الأساليب ، أصبح من حق الأخصائى الاجتماعى تسليمه للسلطة التى تنفذ أوامر الله لتطبق عليه أى نوع من أنواع الحدود الشرعية حتى يعود الأفراد إلى حظيرة الإيمان والتوبة والندم ، ويرجعون إلى العمل بمقتضى الشريعة وآدابها .

والأخصائى الاجتماعى ، وهو يطبق هذا الأسلوب فإنه يهدف إلى الوقاية والعلاج فى آن واحد ، وذلك عن طريق إصطحاب مجموعة من المنحرفين لمشاهدة بعض الأفراد الذين أدانهم المجتمع ويُطبَّق عليهم حدا من حدود الشريعة الإسلامية ، أو يقص عليهم قصص من طبقت عليهم حدود الله ، أو يريهم بعض الأفلام السينمائية ، وبعض التمثيليات التى تشاهدون فيها تطبيق حدود الله ، وبذلك يُوضح لهم الدروس والعظات المستفادة من هذه الأنشطة حتى يُعالج عن طريقها انحراف سلوكهم ، ويجعل منها وقاية لمن لديه استعداد للانحراف .

وهكذا يحاول الأخصائى الإجتماعى حماية المجتمع من الفساد عن طريق تطبيق العلاج الإسلامى على المنحرفين ، بشتى أساليبه المتنوعة ، وعلى رأسها التنمية الاجتماعية عن طريق التعاون تارة وعن طريق الحب تارة أخرى ، ثم عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تارة أخرى ، أو عن طريق تطبيق حدود الله بحيث يختار الأخصائى الإجتماعى من هذه الأساليب ما يناسب فردية كل منحرف . حيث أن بعض هذه الأساليب يفيد مع بعض المنحرفين . وقد لا يفيد مع البعض الآخر، كل ذلك يعتمد على مهارة الأخصائى الإجتماعى فى تطبيق العلاج الإسلامى ، بعد أن يدرس مشكلة كل منحرف ، ويوضح أسبابها بدقة ، ثم بعد أن يختار لها أنجح هذه الأساليب العلاجية ، حيث أن العلاج الإسلامى بأساليبه المتعددة فيه الدواء لكل داء ، وفيه الهداية وفيه الشفاء . والله متم أمره كيف شاء وعندما شاء .

التربية الإسلامية بتنمية القيم النفسية

مقدمة

أ- التنمية النفسية بتنمية الإرادة عن طريق

- ١- تنمية الإرادة بالتحكم في المشاعر.
- ٢- تنمية الإرادة بممارسة الحب .
- ٣- تنمية الإرادة بالصبر والتنفيس عن المشاعر.
- ٤- تنمية الإرادة بتحويل اتجاه بعض الغرائز.
- ٥- تنمية الإرادة بالإيحاء .
- ٦- تنمية الإرادة بالزهد في الدنيا .
- ٧- تنمية الإرادة بالتأمل والتفكير.

ب- التنمية النفسية بتنمية الضمير .

ج- التنمية النفسية برياضة النفس ومجاهدتها .

التربية الإسلامية بالتنمية النفسية

مقدمة

من نظر في تعاليم الدين الإسلامي وتأمل مقاصده فسيدرك أنه يرمى إلى غرض واحد هو توفير الكمال النفسى للإنسان ، وتيسير أسباب السعادة له فى دنياه وأخرته ، متمثلاً فى تنظيم سلوكه وضبطه (١) . وعندما يتوفر الكمال النفسى يتوفر الجو الأمن المطمئن الذى يساعد على تنمية الشخصية التى تساعد على جهاد النفس وترويضها ليعيش الإنسان متزن النفس ، كريم الأخلاق، عظيم الصفات .

وقد قرر الإسلام بصراحة أن حُسن الأخلاق طريق سعادة الإنسان ، وسوء الأخلاق طريق شقاوته ، فقال رسول الله ﷺ: من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاوته سوء الخلق* (٢) .

وإننا كانت معظم الأمراض النفسية أسبيلها الانحرافات الأخلاقية كما يقرر ذلك العلماء النفسيون ومنهم (هادفيك) الذى يقول : "كل مرض نفسى ينطوى على نقص خلقى" (٣) .

(١) الملوك الاجتماعى بين علم النفس والدين - مصر سابق - ص ٨
(٢) منتخب كثر العمل فى هامش معتمد الإمام أحمد ١٣٢/١ .
(٣) توهيق الطويل ، الفلسفة الخلقية ، ص ٤٦٨ - مصر سابق .

فإن الإسلام قد قرر ذلك قبل هؤلاء وبَيَّن العلاقة بين الإنحراف الأخلاقي والأمراض النفسية . وبين الأمراض الجسمية بشكل واضح وصريح ، فقال الرسول ﷺ "من ساء خلقه عذب نفسه ومن أكثرهمه سقم بدنه" (١) .

ثم إن المرض النفسى قد يكون أشد تعذيبا للإنسان من المرض الجسدى وخاصة الأمراض الناشئة أساسا من سوء الأخلاق "أما عذاب الوجدان (العذاب النفسى) أو وخز الضمير وتأنيبه فهو ألم معنوى .. إنه هو الذكرى التى تعض قلب المجرم ولا تفارقه ليل نهار" (٢) .

ولذلك اهتم الإسلام بعلاج مثل هذه الأمراض النفسية ، كما جاء القرآن الكريم ﴿ وَتُنزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٣) .

ويقول الإمام الفخر الرازى (إعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية كما هو شفاء أيضًا من الأمراض الجسمية . أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر ، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان الاعتقادات الباطلة ، والعادات المذمومة . وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها ، وتعريف ما فيها من المفاسد ، والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة ، والأعمال الحموية ، فكان

(١) منتخب كبر العمل فى هلمش مصنف الإمام أحمد ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨ .

(٢) د . عائِل العوا : الوجدان ، مطبعة جامعة دمشق ، بون ، ص ٥٧ .

(٣) سورة الإسراء : آية ٨٢ .

القرآن شفاء من هذا النوع من المرض ، وثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحانية" (١).

وإذا كان الجسم يتخلص من سمومه بطريقة ما ، ويمرض إذا تراكمت السموم بداخله ، فإن النفس كذلك ينبغي لها أن تطرد سمومها ، وليس هناك شيء يزيل سموم النفس كما يزيلها الحب ، الحب على نطاقه الواسع ، الحب لكل شيء ولكل موجود ، وهذا هو الذي يصنعه الإسلام ويصنعه القرآن .. إن العبادة الدائمة لله والحياة الدائمة في كنفه ، والتطلع إلى رضاه ، تُحْدِثُ هذا الشعور الوثيق بالحب لبني الإنسان (٢) .

إن الإسلام يُقدم بتعاليمه الكاملة السليمة أفضل العون للنفوس ، وما العبادات في الإسلام إلا وسائل ريانية لتربية النفس وتنظيم طاقتها ، وهو إذ يحصنها بهذه العبادات لا يقتل حيورتها ، ولا يُضعف منها أبداً ، حتى تلك الغرائز الجنسية الشهوية لا يقف منها موقف العدا ، وإنما يعمل على تنظيمها ، فتتحول بذلك إلى طاقة بناء للحياة ، وكذلك الإنحرافات السلوكية الأخرى فإن الارتباط بالدين فيه العلاج وفيه الوقاية .

إن القرآن أسلوباً رائعاً للتنمية النفسية ، فهو يُربى المرء على الإيمان بوحداية الله وباليوم الآخر ، ويقول "محمد إقبال" في كتابه إعادة بناء الفكر الإسلامي .. ما يأتي به الدين من علم ، وإيمان به هو تجربة نفسه تُخضع الممارسة

(١) تفسير الفجر الزاوي ، مصدر سابق ، ص ٢١ / ٢٤ .
(٢) نحو التراي ، مصدر سابق ، ص ١٤٩ .

الداخلية للإنسان ، أى تُخضع جهاد النفس ، وترويضها ، فكلما جاهد الإنسان شهوات نفسه ، ووقف فى سبيل هواها ، كلما زاد إدراكه وضوحا وعمقا للطريق السوى فى الحياة ، وكلما زاد إيمانه قوة بالله وبرسالته ، ونهاية هذه التجربة النفسية يتجلى فى الصفاء النفسى (١) .

إن أسلوب القرآن فى تربية النفس ، يفرض الإقناع العقلى مقترنا بإثارة العواطف والإنفعالات النفسية ، فهو بذلك يُربى العقل والعاطفة معا متمشيا مع فطرة الإنسان فى البساطة وعدم التكلف ، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة .
يبدأ القرآن من المحسوس المُسَمَّم به : كالمطر والرياح ، والنبات ، والرعد ، والبرق ... ثم ينتقل إلى استلزام وجود الله ، وعظمته وقدرته وسائر صفات الله مع اتخاذ أسلوب الإستفهام أحيانا ، إما للتفريغ وإما للتنمية وإما للتحبيب والتذكير بالجميل .. أو نحو ذلك . مما يثير فى النفس الإنفعالات الربانية : كالخضوع والشكر ، ومحبة الله ، والخشوع له ، ثم تلتى العبادات والسلوك المثالى تطبيقا عمليا للأخلاق الربانية (٢) .

إن الدين الإسلامى يعتمد فى إصلاحه على تهذيب النفس الإنسانية ويُكرس جهودا ضخمة للتغلغل فى أعماقها ، وغرس التعاليم الدينية فى جوهرها فالنفس الإنسانية هى موضوع عمله ومحور نشاطه ، لأن الإسلام دين الفطرة

(١) نحو القرآن ، مصدر سابق ، ص ١٢٩ .
(٢) التريية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٢٦ .

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) .

والنفس المنحرفة تُثير الفوضى في أحكام النظم ، وتستطيع النفاذ منها إلى أغراضها الدنيئة ، والنفس الكريمة تُرَقِّع الفتوق ، وتُحسِّن التصرف في الأمور وتسير وسط الزواجع والأعاصير (٢) .

وأسلوب القرآن في تربية النفس عن طريق إثارة الإنفعالات الريانية كالخضوع والشكر ومحبة الله .. هي أفضل طريقة إهتدى إليها علم النفس لتربية العاطفة ، إنها مصحوية بموضوع معين ، حتى تُصبح عند المرء استعدادًا لاستيقاظ هذه الإنفعالات كلما أثير هذا الموضوع .

فتجربة أى انحراف مثلًا تحتاج إلى إثارة انفعالات المنحرف بشحنة إنفعالات إيجابية ، نركز فيها على الخشوع والخضوع لله وشكره على نعمه ، فقد لمس تلك أوتار قلبه ، فيعود إلى فطرته السليمة . وعندئذ تنجح الوقاية ، وينجح العلاج .

وهل العاطفة إلا ذلك الإستعداد الوجداني الإنفعالي ؟ فإذا رُبِّيَّ مع العاطفة سلوك مثالي تتطلبه تلك العاطفة ، فقد بلغت التربية الإسلامية ذروتها في تربية النفس وإستنفاد طاقتها في خير الإنسانية ، ولعل أوضح مثل على ذلك عمليا هو تحلية النفس بالأوصاف المحمودة ، وتخليتها من الأوصاف المذمومة ، والمُنطلق الذى تنطلق منه مناهج التربية يقوم على ركيزة مستقاة من القرآن الكريم وهى أن الإنسان فُطِرَ على الحق ثم ينسأه ، فإذا لم يُدَكَّرْ بصفة مستمرة إنحرف عن جادة

(١) سورة الروم ٣٠ .

(٢) السلوك الإجتماعى بين علم النفس والنفس ، مصدر سابق ، ص ٧٩ .

الصواب ، وركن إلى الخمول والبلادة فيقتله الشيطان ويوسوس له ، ويُحَسِّنُ له باطل عمله ، وبذلك تميل النفس عن طبيعتها ، فتتحرف إلى الأهواء والأمانى الكاذبة . وتندفع إلى الغفلة والضياغ ، ومن هنا كانت أهمية الرياضة النفسية لتقوية العزيمة وباب للصحة النفسية(١) .

والمنحرف في مسيس الحاجة لتقوية عزمته وتندمية إرادته حتى يُصبح قادرا على مجاهدة نفسه ، وإنقاذها من الغفلة والضياغ والدمار .

(١) نحو علم نفس إسلامي ، مصدر سابق ، ص ٢٧١

أ- التنمية النفسية بتنمية الإرادة عن طريقي :

- ١- تنمية الإرادة بالتحكم في المشاعر.
- ٢- تنمية الإرادة بممارسة الحب .
- ٣- تنمية الإرادة بالصبر والتنفيس عن المشاعر.
- ٤- تنمية الإرادة بتحويل اتجاه بعض الغرائز.
- ٥- تنمية الإرادة بالإيحاء .
- ٦- تنمية الإرادة بالزهد في الدنيا .
- ٧- تنمية الإرادة بالتأمل والتفكير.

والتنمية النفسية كاسلوب هام من أساليب العلاج الإسلامي

يمكن تحقيقها بالأساليب التالية :-

أ- التنمية الفاعلية بتوجيه الإرادة :

وردت كلمة الإرادة في كتب الإمام الغزالي لأغراض متعددة : فتارة يُريد بها السلوك في طريق الله . وتارة يُريد بها البحث عن المعرفة وتسخير القدرة ، ونراه حيناً يسميها القوة العاملة ، ونراه حيناً آخر يسميها النية ، ثم نراه يقول " أن النية ، والإرادة ، والقصد ، عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب ، ويكتنفها أمران : علم وعمل ... وكل عمل لا يتم إلا بثلاثة أمور : علم ، وإرادة ، وقدرة ، لأنه لا يريد الإنسان ما لا يعلمه ، فلا بد وأن يعلم ، ولا يعمل ما لم يُرَدِّ ، فلا بد من الإرادة ، والعلم يُهَيِّج الإرادة ، والإرادة باعثة للقدرة والقدرة خادمة للإرادة (١) .

ومعنى الإرادة إنبعاث القلب إلى ما يراه موافقا هذا الأسلوب التربوي القرآني الذي يتضح في سورة الرحمن حيث ينكرنا الله عز وجل جلاله بنعمه ودلائل قدرته ، بادئاً من الإنسان وقدرته على التعلم ، إلى ما سخر الله له الشمس والقمر والنجم والشجر ، والفاكهة والتمر ، وما خلق من السماء والأرض .. وعند كل آية عدة علامات استفهام يضح الإنسان فيها أمام الحس الوجداني وصوت القلب ، والضمير فلا يستطيع أن يُنكر ما يُحس به ، ويستجيب له عقله وقلبه ، وقد

(١) الامام العمري ، "الأربعين في أصول الدين" ، القاهرة مكتبة الحندي ، ١٩٧٥

تكرر هذا الإستفهام ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة فى هذه السورة ، وفى كل مرة يُثير إنفعالات تختلف بحسب الآية التى تسبقه .

وهكذا تستطيع التربية الإسلامية تربية النفس البشرية وتهذيبها ، وإن الله تعالى أقسم إحدى عشر قسما ليقرر أن النفس الإنسانية قابلة للتغيير والترقية والتسامى (١) .

والعلاج الإسلامى لكى يصل إلى تحقيق أهدافه فى التربية النفسية فإنه ينطلق من محركين أساسيين محرك ترغيب ... ومحرك ترهيب ، فالنفس تنزع بفطرتها إلى الهوى ، وتميل إلى الشهوة ، وتركن إلى تحقيق ذلك ركونا عظيما ، بما أودع فى جبلتها من صفات مذمومة .. يمكن أن تُجِدث لها العطب والفساد والإنحراف ... لذلك وجب تحريك محرك الترهيب للقضاء على هذه الآفات أولا بأول حتى لا تعتاد عليها النفس .. ، كما تقوم التربية الإسلامية على محرك الترغيب فيما يتعلق بالأفعال المحمودة والعلوم النافعة ، والقنوة الحسنة ، حتى يتحلى بهت باطن الإنسان فتُصنح هذه الأفعال غاية سلوكية .. لكى يتم الغرض إما فى الحال وإما فى المال (٢) .

(١) أنظر سورة (الشمس وصحاحها ..) إلى قوله تعالى قد ألح من زكها وقد خاب من نساها .
(٢) الامام الغزالي "الحياة علوم الدين" مرجع سليف ذكره

أما وجهة نظر علماء النفس فى طبيعة الإرادة فقال بعضهم: الإرادة هى العملية النفسية التى ترمى إلى تكيف الإستجابة التى كانت قد أدى الصراع القائم بين مجموعتين من الميول إلى إرجائها وذلك بترجيح كفة الميول التى تبدو فى نظر الشخص أنها أسمى من غيرها (١).

وأهم ما يميز الإتجاه السلوكى فى فهم طبيعة الإرادة أن الإرادة سابقة على الفكرة ، وأن منبع الإرادة هو الميول المتنازعة. وتنشأ الإرادة عندما يتغلب ميل واحد منها على الميول الأخرى (٢).

والإرادة عند الإمام القشيري هى "نهوض القلب فى طلب الحق سبحانه" (٣). ويقول الواسطى "أول مقام المرید إرادة الحق بإسقاط إرادته (٤). والإرادة الحقيقية من وجه نظر المتصوفين بصفة عامة هى الإرادة المتجربة من البواعث النفسية والميول الطبيعية وتخضع لإرادة الحق.

ويقول القارائى "النزوع إلى ما أدركه الإنسان بالجملة هو الإرادة (٥). ولا ريب أن الإرادة العاقلة هى أثن شىء فى وجودنا، فهى التى يتميز بها ، إنها الملكة القادرة على أن تركزنا فى نواتنا ، وعلى حين أن الحواس والغرائز تُبعثنا خارجها فهى إذن مخصصة ليمنحها الخالق حق السيادة وبور المبدأ الأعظم (٦).

(١) يوسف مراد "مبادئ علم النفس" مرجع سابق ذكره .

(٢) عيد الكريم عثمان "الدراسات النفسية عند المسلمين" القاهرة . مكتبة وهبة . مرجع سابق ذكره .

(٣) الإمام القشيري "الرسالة التصيرية" القاهرة ، مطبعة صبيح ، ١٩٦٦ ، ص ١٥٧

(٤) القهلوى "كثف إصطلاحات الفنون".

(٥) القارائى "أراء أهل المدينة لتفصيلة القاهرة ، صبيح وأولاده ، ص ٦٠ .

(٦) عيد الصبور شاهين ، دستور الأخلاق فى القرآن ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، طبعة أولى ، ص ٤٠٥ ، ١٩٧٣ .

ويرى الإمام الغزالي "أن تربية الإرادة بتكرار طاعة الميل المحمود وتكرار مجاهدة الميل المذموم . والإمام الغزالي لا يرى للعمل قيمة بغير النية وإن شئت الإرادة . وإن كانت النية هي التي تُقَوِّم العمل فمن الخير أن تكون قوية ، ولأنه كما تكون الرغبة في عمل طيب ، أو النفرة من عمل خبيث ، يكون جزاء العامل ، فيكثر أجره أو يقوى حبه للخير ، وقد نص في عدة مواطن من كتبه بأنه الْمُتَّوَلُّ على القلوب . حتى لنجده يذكر أن الصغيرة تنقلب إلى كبيرة بالإصرار والمواظبة ، أو بالاستهانة بما لها من خطر . وأن الكبيرة إذا وقعت بغته واستعظمها المرء ولن يعود إليها كانت مرجوة العفو (١) .

وفى ذلك يقول الغزالي : فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله ، وكلما استصغره كبر عند الله لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب منه وكراهيته له ، وذلك النفور يمنع من شدة تأثيره ، واستصغاره يصدر عن الألفة به وذلك يوجب شدة الأثر في القلب ، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحظور تسويده بالسيئات (٢) .

ونحن محاسبون على النية والقصد من سلوكنا وأفعالنا ، والنتيجة الطبيعية للإيمان أن يكون الباعث على سلوك المؤمنين هو الطمع في ثواب الله والخوف من عقابه ، والعزيمة والإرادة هي وسيلة التنفيذ وهي سر من أسرار التوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة، ومن ضَعُفَتْ إرادته أو عجزت فهو والحيوان سواء بل هو أضل من الحيوان ، لأنه أصبح غافلا ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا

(١) الأخلاق عند الغزالي ، مصدر سابق ، ص ١٤٦ .
(٢) إحياء علوم الدين ، ص ٣٣ ، مصدر سابق .

مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَذَانٌ لَا
يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١﴾.

لقد أوضح الإسلام المنهج العملي لتنمية الإرادة (٢) وتدريبها على الإلتزام
بموقف الحكمة والهدى والثبات أمام نيار الهوى كما يلي:-

١- تنمية الإرادة بالتحكم في المشاعر (ككظم الغيظ والعهد من الخضب) :

إن ظاهرة الغضب ظاهرة مزوجة فسيولوجية وسيكلوجية ، أعنى أنها
عضوية نفسية فى وقت واحد ، ألسنا نرى الإنفعال النفسى فيها تصحبه ثورة
دموية تغلى منها مراحل الصدر ، وترتفع بها حرارة الجسم ، وقد تنقلص منها
عضلات الوجه فى أعراض تشبهها ، ثم يتبع ذلك لواحق أخرى ، كالجهر بالقول
والبطش باليد إلى غير ذلك .. وهنا يطالبنا الشرع الحكيم فى أشد حالات الغضب
وما دمنا متمتعين بوعينا وإدراكنا - أن نسيطر على حركات ألسنتنا وجوارحنا ،
ويحاسبنا على الأسلوب القولى والفعلى الذى نختاره فى التعبير عن شعورنا ، وذلك
أن قصارى الثورة الغضبية - حين تندفع إلى التعبير عن نفسها بالقول والفعل معا
- أن تكون كالشحنة الكهربائية التى لا بد لها متى انفجعت أن تُفَرِّغَ فلا سبيل إلى
كبت حركتها ، ولكن سبيلنا هو إختيار المجال الذى تفرغ فيه ، وذلك بوضع جهاز
مانع الصواعق فى مكان ما ، وهو كما نعلم جهاز لا يوقف التيار الكهربائى بل
يستقبله ويتلقاه ثم يحوله بعيدا عن هدفه الأول (٣) .

(١) سورة الأعراف (١٧٩) .

(٢) دراسات إسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية ، مصدر سابق ، ص ٤٥ - ٥٠ .

(٣) دراسات إسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية ، مصدر سابق ، ص ٤٥ - ٥٠ .

وبالمثل نستطيع أن نتصرف في مواقف الغضب لا بمصادمة هذه الغريزة نفسها ، ولا بمقارنة حركتها الطبيعية في بداية اندفاعها ، ولكن بتوجيه هذه الحركة ، وتحويل خط سيرها على النمط الذي رسمه لنا القدوة الأعظم صلوات الله عليه ، فلنستمتع إلى شيء من إرشاداته الحكيمة التي يوجهها إلى من يقع تحت سلطان الغضب ، وهي إرشادات تبرهن على ما لصاحبها من علم واسع عميق ، وإدراك كامل دقيق ، وبكل هذه القوى النفسية وحدودها الطبيعية وفيما وراء تلك الحدود ، ففي اللحظة التي يدفعنا فيها الغضب إلى التفوه بكلمة ننفس بها عن غضبنا ، لا يأمرنا الرسول الكريم بأن نسكت ونحبس أنفسنا ، بل يرشدنا بالعكس إلى أن نقول شيئاً ، ولكنه يختار لنا الصيغة المعبرة عن هذا الإنفعال وهي "أعود بالله من الشيطان الرجيم" (١) أليست هذه الكلمة وحدها كافية لفتح صمام المرجل الذي يغلى في الصدر ، وتخفيف الضغط الذي كاد يولد فيه الانفجار ؟

فإننا ما دعنا حدة الغضب إلى شيء أكثر من القول وتبعثت فينا نزعة قوية إلى البطش باليد أو غير تلك من الحركات البدنية ، فإن الإرشاد النبوي يساير هذه الحركة الطبيعية أيضاً في مبدئها ، ولكنه لا يلبث أن يحول مجراها برفق بعيداً عن هدفها ، ولنستمع إليه تارة حين يقول "إننا غضب أحكم وهو قائم فليقع فإن لم يذهب عنه الغضب فليضطجع" (٢) .

هل نجد أيسر وأسرع وأدق وأنجح من هذا العلاج الروحي البدني معاً .

(1) رواه أبو داود في كتاب الأدب .

(2) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، ص ٥٠ .

والغضب أنواع متعددة من العلاج (١)

أولها : كظم الغيظ :

الذى يُرَدُّ الغضب ويُسَكَّنُهُ فإنه أعظم وسيلة لربه . وأعظم علاج لدفعه ، قال الرسول ﷺ : "إِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ" ، وقال ﷺ : "وَمَنْ كَظَمَ غَيْظًا لَوْ شَاءَ أَنْ يَمْضِيَهُ لَأَمْضَاهُ ، مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا" وقال الله تعالى فى معرض المد لهم "والكاظمين الغيظ".

ثانيهما : هو الحلم عند الغضب :

وقد أجمع العلماء على أن فضل الأحلام الحلم عند الغضب، والصبر عند الجزع ، وقال الرسول ﷺ : "إِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ ، وَمَنْ يَتَخَيَّرِ الْخَيْرَ يَحْطِهِ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يَوْقِهِ" وقال الرسول ﷺ : "ابْتَضُوا الرِّفْعَةَ عِنْدَ اللَّهِ قَلِّلُوا وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : تَصِلُ مِنْ قِطْعِكَ ، وَتَعْطَى مِنْ حَرْمِكَ ، وَتَحَلِّمُ عَلَى مَنْ جَهِلَ عَلَيْكَ" وعلى نلك يكون الحلم أفضل من الكظم لأن للحلم درجة بينما للكظم مثوية ، وأين أهل الدرجات من أهل المثوبات .

ثالثها : هو الصبر والصنح :

وهى درجة لا يقدر عليها إلا من إتصفوا بالإيمان واليقين ، ويتضح عظيم درجتها من قوله تعالى : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)

(١) السلوك الإجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ، ص ١٣٢ .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٣٤ .

وقال: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (١) وقال: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٢).

رابعها : تغيير الوضع أو القيام للوضوء :

وإذا لم يستطيع الإنسان أن يكظم غيظته ، أو يحلم ، أو أن يعفو ويصفح فعليه أن يتبع الأساليب الأخرى التي أشار بها الرسول ﷺ وهي تغيير الوضع أو القيام للوضوء فقد قال الرسول ﷺ "إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإنها الضرب من النار" .

أما أساليب علاج الغضب السابقة فتحتاج إلى قوة ضبط نفسية مبنية على فكر سليم وإيمان ويقين ، وهي دروس عملية على تربية الإرادة ، فمن يتدرب على التحكم في مشاعره وخاصة السلبية منها كالغضب سيجد صعوبة في البداية ولكن مع تكرار ممارستها وبالإصرار على التدريب عليها سثصبح عملية سهلة بعد أن قويت الإرادة وأصبحت قادرة على التحكم في نزعات النفس ومنعها بل قادرة على رياضة النفس ومجاهدتها ، وعندئذ ينجح العلاج الإسلامى فى تنمية الإرادة عن طريق التحكم فى المشاعر.

٢- تنمية الإرادة بممارسة الحب :

الحب والكره حالتان نفسيتان وليدتا أسباب يبدولنا بعضها ، ويخفى عنا البعض الآخر، فقد يكون مردها إلى مجرد تجاذب الأرواح أو تنافرهما ، أو إلى تقارب

(١) سورة البقرة : آية ٢٣٧ .
(٢) سورة النور : آية ٢٢ .

الأفكار والآراء أو تباعدها ، أو غير ذلك من البواعث . وأما ما كان منها من صنع الله مقلب القلوب ، كذلك ما يتبعها من الآثار الجبلية ، التي لا تنكرها قرة عين وإشراق جبين وإنفساح صدر ، وراحة ونعيم فى لقاء من تحب ومناجاته ، وأضداد ذلك فى لقاء من تبغض ، إلى هنا يقف عمل الفطرة التي رفعت عنها الأقالم ولكننا فى غالب الأمر نضيف إليها آثارا من صنعنا ، إذ نفرق فى المعاملة بين من نُحِبُّ ومن نُبْغِضُ ، ولا نسوى بينهما فى الحكم . بل نكيل لهما بكيلين ، ونزن بميزانين ، فنحايى من نحب ، ونغضى عن هفواته ، ونتحامل على من نكره ، ونغضى على حسناته : وهذا هو الجور الذى نهانا الله عنه إذ يقول عز وشأنه : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ (١) ويقول : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْمَلُوا ﴾ (٢) هكذا يحملنا الإسلام مسئولية عملنا ، وعافانا من كسبنا ، فلم يكلفنا إفتعال الرضا ونزع السخط من أنفسنا ولا كف آثارها الجبلية ، ولكن كف آثارها الإختيارية الجائرة ، وقد جعل لنا فى ذلك الأسوة الحسنة صاحب الخلق العظيم فقد كان الرسول ﷺ يعدل حق العدل بين زوجاته ثم يقول "اللهم هذا جهدى فيما أملك ، ولا طائفة لى فيما تمك ولا أملك" (٣) .

بذلك يعلمنا الإسلام كيف ندرج إرادتنا على أن لا نفرق بين ما نحب ومن لا نحب بل نمارس الحب مع الجميع ، وتتسامى ونعلوا به إلى أن يصل إلى حب الله هادى النفوس ومقلب القلوب ، وهل يستطيع ممارسة الحب إلا من

(١) سورة الأنعام (١٥٢) .

(٢) سورة المائدة الآية (٨)

(٣) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

يملك إرادة قادرة .. ولن تكون الإرادة قادرة إلا بتربيتها وتدريبها على التحكم فى المشاعر تارة وبممارسة الحب تارة أخرى . حتى تصل إلى درجة التوازن النفسى الذى يعدل فى التعامل مع الناس ، مقتدين بصاحب الخلق العظيم والأسوة الحسنة محمد الرسول الكريم ﷺ .

٢- تنمية الإرادة بالصبر والتنفيس عن المشاعر :

ترى الناس إذا أصابهم ما يكرهون إندفعوا فى هلع هالع ، وجزع خالع أعتذروا بشدة الصدمة الأولى التى تعجزهم عن الصبر والتحمل ، كلا إنها حجة داحضة ولله الحجة البالغة ، فإن للحزن أثراً طبيعياً لا جناح فيه ، وليس هناك حجة لقول العجز وفعل المنكر الذى تُبرأ منه الفطرة .

ها هنا أيضاً نجد فى مشكاة الشريعة من الأضواء الباهرة ما يكشف لنا حدود مسئولياتنا ، وما وراء تلك الحدود ، ففى أثر الصحيح الذى يرويه البخارى أن النبى ﷺ سخل على إبنيه إبراهيم وهو يعانى مكرات الموت ، فلما رآه رق له قلبه وجعلت عينه تنرفقان الدموع ، فقلل له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله .. فقال " يا ابن عوف إنها رحمة ، ثم قال: "إنها العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وأتينا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون" هكذا فرق الرسول الحكيم بين الظواهر الحيوية والنفسية التى ليست من كسبنا ، وبين الأقوال والأفعال التى تتبع هذه الحالات الطبيعية ولكنها محض عملنا ، وواقعة تحت مسئوليتنا (١) .

(١) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، ص ٤٨ .

وهكذا نتعلم من الرسول ﷺ أن الصبر عند الشدائد يأتي بتنمية الإرادة وتدريبها وتكرار هذا التدريب في كثير من المواقف حتى يُصبح عادة للإنسان وصفة من صفاته ، ولن يتحقق ذلك إلا بتربية الإرادة .

كما تعلمنا من الرسول ﷺ كيف نعبر عن مشاعرنا وكيف نخفف عن مشاعرنا وخاصة السلبية منها ، مثل الحزن ، فالتعبير عنها وتنفيسها فيه راحة للنفس ، وتنمية للإرادة وقد وصفه الرسول ﷺ بأنه خير ، خير للإنسان ، وخير للمجتمع الذي يحيط به ، ولكن يجب أن يُصاحب هذا التنفيس التحكم في أقوالنا والمصاحبة لهذه المواقف المحزنة حتى لا نفعل ما يُغضب الله أو نتلفظ بما لا يُرضيه وأى تربية للإرادة بعد ذلك ، وإن الشريعة الباهرة وضحت لنا مسئولياتنا وحدود سلوكنا في مثل هذه المواقف بما يؤدي إلى تنمية الإرادة .

٤- تنمية الإرادة بتحويل اتجاه بطن الثرائز أو وقتن سيرها :

واليك مثالاً آخر من هذه الطبائع المستعصية علينا في تنفيذها ، والخاضعة لإرادتنا في تواجدها ولواحقها ، تلك هي غريزة التشوف والتطلع ، التي أودعها الله في فطرة الإنسان لحكمة بالغة ، فهي التي تحفزه إلى طلب ما به قوام حياته المادية والمعنوية ، فليس من الصواب مكافحتها ، بل ليس في الطلقة إقتلاعها ، فإن الطبع غلاب كل غالب ، ولكننا على الرغم من ذلك نستطيع معالجتها بطريقتين : إما بتحويل إتجاهها ، وإما بوقف آثارها(١).

(١) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، ص ٤٨ - ٥٠ .

ومعنى تحويل الإتجاه أن نستبدل بالهدف الأول الذى إنجهت إليه رغبتنا بادية ندى بديء ، هدفا آخر يلهينا عنه ، ويعوضنا عنه ، بحيث يكون مثلنا فى معالجة أنفسنا مثل مؤدب الطفل حين يراه شديد الشغف بلعبة خطيرة ، فالسياسة الرشيدة فى هذا الحال لا تعتمد إلى كبت إرادة الطفل كبتا كليا ، بل تقدم له لعبة أخرى تشبهها أو تُفَضِّلُها ، غير أنها تكون عديمة الخطر ، وكلما كان الاستبدال لما هو أنفوس قيمة ، وأجزل نفعا دل ذلك على حصافة عقل المربي وكمال رشده (١) .

وهكذا علمنا القرآن الكريم كيف يكون موقفنا أمام الحاح رغباتنا الجامحة، فطورا يأذن لنا أن نُشبع رغباتنا بأسلوب آخر ، نستبدل فيه الحرام بالحلال ، والخبيث بالطيب ، وطرورا يوجهها نحو معالى الأمور وأسمائها شأنا وأرفعها قدرا ، وهذه هى رتبة الصفوة الخاصة . ولكنه لا يأمرنا بترك التشهى والتمنى إطلاقا ، لكنه يرسم لنا أهداف هذا التمنى . فلنستمع له حين يقول " ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض " ثم يقول : ﴿ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٢) .

وهذا نفسه هو الأدب الذى أدب الله به نبيه فحُسن تأديبه إذ قال : ﴿ وَلَا تَكُنْ مِثْلَ نَجْدٍ تَدْعُو بِهَا زُرَّارَةٌ مِّنْ رَبِّكَ فَتَأْتِي الْغَمَّاتُ بِمِثْلٍ نَّجْدٍ ﴾ (٣) .

(١) نفس المصنوع السابق
(٢) سورة النساء ، آية (٢٢) .
(٣) سورة طه آية ١٣١

وما أجمل الوصية الذهبية التي يقول فيها الرسول ﷺ: صلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا وصابرا ، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا ، من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ونظر في دنياه إلى من دونه فحمد الله على ما فضله به عليه فكتبه الله شاكرا صابرا ، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ونظر في دنياه إلى من هو فوقه ، فأسف على ما فاته منها، لم يكتبه الله لا شاكرا ولا صابرا ، هذه هي سياسة تحويل الإتهام ، أما سياسة وقف السير فإنها تنبع من ظروف خاصة كأنها استثناء من القاعدة . وحتى هذه الحالات الخاصة ليس المطلوب منا أن نُسكِّتَ صوتَ رغبائنا ، وأن نحملها قسرا على الجمود ، فإنه أرحم بنا من أن يكلفنا مالا طاقة لنا به .

إنما العلاج هو أن ندع جهاز الغريزة يدور حول نفسه ولا نقدم له المادة التي يطلبها ، وتلك هي السياسة التي مارستها شريعة الصوم فطاما لنا عن المشتبهات إطلاقا في أوقات معلومة ، تلك هي سياسة قمع الهوى التي يقول فيها الكتاب المجيد وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿١٠١﴾ .

وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى لا يطلب منا أن نكبت غرائزنا ونغير من تكوينها ، ولكنه يعلمنا كيف نوجهها ، ونخبط سلطانها ، وتنظيم آثارها العملية

(١) سورة النازعات آية (٤٢) .

حتى لا نُصبح عبداً لغرائزنا ، وضعافنا أمام مشتبهياتها ورغباتها ، بدلا من ذلك علمنا كيف نغير اتجاهها ونحوه إلى مسار آخران استطعنا ، أو نوقف سيرها فى الظروف التى تتطلب ذلك .

٥- تنمية الإرادة بالإيحاء :

كثيرا ما ينصح رجال التربية باستخدام الإيحاء عامة والإيحاء الذاتى خاصة فى تربية الإرادة ، ويعرفه بعضهم "بأنه فكرة أو تنبيه عقلى ينادى المشاعر أكثر مما ينادى العقول" (١) .

ويُعرّفون الإيحاء الذاتى بأنه " هو إيحاء نوجهه إلى أنفسنا ، ويشترطون لتأثير الإيحاء فى أى ميدان من الميادين بوجود رغبة فى عمل ما قبل الإيحاء (٢) . كما يجب أن تكون الرغبات والعادات الشعورية مهياة لقبول تلك الأفكار الموجى بها . كذلك يجب ألا تتعارض تلك الإيحاءات الجديدة مع الإيحاءات الأخرى العميقة ، التى ثبت الإقتناع بها قبل الإيحاء الجديد (٣) والشرط الأخير الهام لتأثير الإيحاء هو الإيمان فإن هذا الإيحاء يمكن به تحقيق الرغبات عمليا (٤) .

وأهم خطوات الإيحاء الذاتى للرياضة الإرادية يمكن تلخيصها فى

الخطوات التالية :-

(١) سلسلة كتب علم النفس العلمى - القاهرة

(٢) كيف تمارس الإيحاء الذاتى ، ص ١٧

(٣) نفس المصدر ، ص ١٩

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٠

١- يجب أن تتخيل بعقلك ما تريد عمله أو ما تريد أن تكونه ، وأن تُعبّر عنه بصفة إيجابية مبسطة في ورقة تعبيراً دقيقاً ، ثم عليك بالتأمل في ذلك التعبير ليرسخ في ذهنك تماماً .

٢- يجب أن تفكر بعناية كاملة في أسباب عدم إمكانية تحقيق ما تريد تحقيقه حتى هذه اللحظة ، وما هي المشاعر التي تُحُول دون السير في طرق تحقيق رغبتك (١) .

٣- استشعر في نفسك أنك قوى وأنتك تستطيع أن تعمل ما تريد عمله ، وكرر ذلك التعبير المحدد الذي عبرت فيه عن رغبتك بعد الإستيقاظ من النوم لمدة عشر دقائق ، وأعمل ذلك أيضاً قبل النوم مساءً ثم ضع نفسك في تخيلك موضع ذلك الشخص القوى الذي يُنفذ إرادته دائماً ، حتى يزول من نفسك الشعور بالضعف (٢) .

أما تنمية الإرادة بالإيحاء كما جاءت في التربية الإسلامية فإنها تشبه الوسائل الإيحائية لدى علماء النفس ، غير أن نظرة الإسلام تختلف من حيث المصادر التي يستوحى الإنسان منها القوة، أو المصادر التي يجب أن يستوحى منها الإنسان الشعور بقوة الإرادة ، فإن علماء النفس إذا كانوا ينصحون بصفة عامة بالإيحاء الذاتي فإن الإسلام ينصح بهذا الإيحاء على أساس إستمداده من القوى الروحية مثل الاستعانة بالله وبقوته ، ولهذا قال الرسول ﷺ لابن عباس عندما كان صغيراً "يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لن

(١) كيف تمارس الإيحاء ، ص ٦١ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٦٣ وما بعدها .

ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا
بشيء قد كتبه الله عليك (١) .

ومن مصادر الإيحاء الذاتى بالقوة الإعتزاز بالإيمان بالله ، يقول تعالى
﴿ مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (٢) وإن
من حق المؤمن أن يعتز بإيمانه بالله وبتابعه الطريق السوى ، طريق الهدى والعلاج وهو
طريق الإسلام ﴿ وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

ولهذا أمر الإسلام أن يكون المؤمن قويا لأن المؤمن القوى أحب إلى الله
وخير من المؤمن الضعيف ، فقال الرسول ﷺ : "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من
المؤمن الضعيف" (٤) ولهذا كان الرسول ﷺ يستعيز من الضعف والعجز . أو الشعور
بالضعف والعجز . وكان يقول "اللهم أعوذ بك من العجز والكمال والجبن والبخل" (٥) .

وإذا كان من أسباب ضعف الإرادة القلق والاضطراب ، فإن الإيمان
والإتصال بالله القوى العزيز إنقاذ للإرادة من هذا الاضطراب والإنهيار أمام
المشكلات . ولهذا شبه الرسول المؤمن بالذئبة التى تنحنى أمام الرياح الشديدة ولا
تنكسر . وإذا ذهب الرياح استقامت . وكذلك إرادة المؤمن لا تنكسر ولا تنهار أمام
المشكلات كما تنكسر إرادة الفاسقين والفجار أمام الفتن وتنهار أمام المشكلات (٦) .

(١) مصيد الإمام أحمد ٢٩٣/١ .

(٢) سورة قاطر ١٠ .

(٣) سورة المنافقون ٨ .

(٤) الإمام أبى الحسن مسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فزاد عبد الباقى دار إحياء الكتب العربية

(٥) الخلع الصغير للإمام السويطى ، مطرّم الطبع عند الحميد حنفى ، القاهرة

(٦) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصدر سنن

وحيث أن القلق والاضطراب هما من أسباب ضعف الإرادة وهما من أهم الأسباب الواقية للانحراف . وكذلك فإن المنحرف في ميسر الحاجة للتخلص من الإضطراب والقلق . وضعف الإرادة وما أحوجه عندئذ للإيمان والاتصال بالله القوى العزيز القادر لإنقاذ إرادته وبالتالي من مشاكله أو إنحرافاتة .

٦- تنمية الإرادة بالزهد في متع الدنيا :

إن الزهد في متع الدنيا والتقليل من العادات الضارة في المأكل والمشرب والملبس مثل الإفراط ، والشهه ، والطمع ، والحرص على جمع المال ، يجعل الإرادة الإنسانية تخضع لصوت العلم والعقل والأخلاق لا الغرائز والدوافع الفطرية ، وهذا يقتضى تدريبها أولا بإخضاعها لهذه الأمور . ثم تربيته بالسير في ضوء الحكمة والأخلاق . لأن الإرادة إذا أصبحت حرة بدون قيد أو شرط قد تستقيم وقد تنحرف . ولا ضمان للإستقامة المستمرة ما لم تتدرب على التقيد بالقيود العقلية والعلمية والأخلاقية.

ومن ألوان تنمية الإرادة التي قررها الإسلام في هذا الميدان الصوم عن الأكل والشرب والجنس كل سنة في شهر معين وفي ساعات معينة شريطة ألا يكون صوما وصالا لأنه ضار بالصحة ، ولهذا منع الرسول ﷺ الصوم بالوصال . ونهى الذين عزموا على ذلك ، فقال الرسول ﷺ لعبد الله ابن عمرو بن العاص "يا عبد الله ألم أخبرك أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت بلى يا رسول الله ، قال فلا تفعل صم وأفطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا وإن لزوجتك عليك حقا وأن يحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها" (١) .

(١) فتح الباري الشرح البخارى ، كتاب الصوم ١٢١/٥ .

وقد اهتم المتصوفون كثيرا بتنمية الإرادة بالزهد ، لأنها خطوة أساسية لكل متصوف ، ويقول "د . محمد كمال جعفر" معبرا عن رأيهم "يُعتبر الزهد في منع الحياة الزاهية وترك الرفاهية خطوة أساسية في كل تصوف " ثم يُعرّف قول الجنيد ما أخذنا التصوف بالقبيل والقال لكن بالجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات (١) .

ومن هذا اللون أيضًا الإلتزام ببعض المبادئ الأخلاقية مثل محاولة التغلب على السلوك الفطري ، كالتغلب على الغضب وكظمه ودفْع الإساءة بالإحسان للتغلب على روح الإنتقام أو الثأر الذي هو سلوك فطري في الإنسان (٢) .
فإن لم يُدرّب الإنسان إرادته على مغالبة تلك الدوافع البيولوجية والسيكولوجية سيكون مغلوبا على أمره ، ولا يمكن أن يكون صاحب خلق ، لأن كثيرا من مبادئ الأخلاق لا تتكون إلا عن تلك الطريق ، أي بمخالفة الدوافع الطبيعية (٣) .

٧- تنمية الإرادة بالتأمل والتفكير :

إن الإرادة تقوى بالتأمل والتفكير ، وذلك عن طريق إعمال الفكر بالإرادة مدة في كل ساعة أو في كل يوم في موضوعات معينة ، لأن التفكير والتأمل المركز على تلك النحوى يقوى الإرادة من ناحيتين :-

(١) التصوف طريفة وتجربة د محمد كمال جعفر ، ص ١٠١ .
(٢) هداية الباري الى ترقيب أحاديث للحجازي ١٠٧/٢ وصحيح مسلم ١٤/٤ كتاب البر والاداب
(٣) التربية الأخلاقية ، مصدر سبق ص ١٣٣ .

١- العمل العقلى كالعمل العضوى فيما يتفق فيه من بذل الجهد وتوجيهه إلى موضوعات معينة بإرادة . فكلاهما رياضة بالنسبة للإرادة ، ولهذا نجد بعض علماء النفس ينصحون بذلك لتقوية الإرادة (١) .

٢- إن الإرادة تقوى إزاء عمل أو أعمال يرى الإنسان وضوح الحق فيها وزوال الشك منها لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية كانت أكثر جانبية للإرادة إليها ، ودافعة إلى العمل بموجبها ، وتوجيه التفكير والتأمل إلى الموضوعات وسيلة لجلاء الحقائق فيها، وإدراك ما يترتب عليها من خير أو شر . وخاصة إذا كان التفكير والتأمل الإراديين بالمنطق والمنهج العلمى الموضوعى ولذلك نجد (بنى حاجى) يقرر دور التفكير المنطلق فى تقوية الإرادة قائلا : (فإذا ما كلل الإرادة منطلق وطيد استطاعت أن تبسط مملكتها فى كل مكان وتصل بصولجانها إلى أمد بعيد) (٢) .

ولهذا نجد الإسلام يدعو باستمرار إلى التأمل والتفكير فى الموضوعات المختلفة ، وفى المناظر والمدهشة فى الكون ، وفى المبادئ التى جاء بها ، فيقول تعالى مثلا "﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى قُرْآنَى ثُمَّ تَتَنَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ ﴾ (٣) .

(١) بنى حاجى ، الفلسفة العلمية للحياة ، ترجمة / على بور مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ ، ص ١٨٢ .
(٢) الفلسفة العلمية للحياة : المصدر السابق ، ص ١٤٧ .
(٣) سورة صبا . ٤٦ .

ويبين الله أن من يتفكر فى دلائل الله وآياته يهتدى إلى الحق فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١).

وقال أيضا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَمَّا تَبْنَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِبُ الرِّيحُ السَّحَابَ الْمُسْحَرَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢) وغير ذلك من الآيات الكثيرة التى تدعو إلى التفكير والتأمل فى شتى الأمور وتبين أن من يتفكر فى ذلك تفكيرا سليما يهتد إلى الحقائق لا محالة ، ثم إن الإسلام أمر المؤمن ألا يبدأ بعمل ولا يسلك مسلكا إلا بعد دراسته وإحاطته ، علما لأن العلم بشىء يقوى عزمه عليه ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (٣) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى علاج المشكلين والمنحرفين عن طريق الإرادة كأسلوب هام من أساليب التنمية النفسية يعرف جيدا أن هذه الفئة من الناس أحاطت بهم الضغوط البيئية القاسية ، والتى ترتب عليها الكثير من الضغوط الداخلية النفسية المؤلمة ، التى جعلتهم يندفعون وراء أهواء

(١) سورة آل عمران : ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) سورة البقرة : ١٦٤ .

(٣) سورة الإسراء : ٣٦ .

الشیطان وأهوائهم وميولهم الشخصية فينحرفون ويرتكبون شتى أنواع السلوك المنحرف ، مما يجعلهم فى مسيس الحاجة إلى من يقف بجانبهم ويساعدهم ويحررهم من تلك الضغوط المؤلمة ، سواء كانت بيئية أو نفسية ، وهنا يظهر دور الأخصائى الاجتماعى الذى يحاول تقوية إرادتهم وتربيتها عن طريق مساعدتهم أولا على التحكم فى مشاعرهم وخاصة السلبية ، ويستبدلها بكظم الغيظ والحد من الغضب ، لأن الغيظ يؤدي إلى الحقد والكراهية مما يدفع بهم إلى العدوان والانتقام بارتكاب شتى ألوان السلوك المنحرف ، كما أن الغضب يجعل النفس فى حالة ضيق وقلق ، ويصبح الإنسان متوترا تائرا لا يستريح إلا بعد أن يُفْرِغ هذه الشحنة من المشاعر السلبية فى انحرافاته المختلفة ، التى قد تنتهى به إلى الإدمان القاتل .

ثم يحاول الأخصائى الاجتماعى مساعدة المنحرفين بإفراغ هذه الشحنات الانفعالية بصورة إيجابية ، بدلا من إفراغها بصورتها السلبية ويعلمهم أولا كيف يواجهون الشيطان ووساوسه عن طريق "الوصفة النبوية الشريفة وهى الاستعانة بالله من الشيطان الرجيم" ، ثم بعد ذلك يُتيح لهم الفرص التى تسمح لهم بالحركة والنشاط الذى يُغير من وضعهم الذى كانوا فيه عند ثورة الغضب ، ثم يطلب منهم الموضوع لأن الماء يُطفىء نار الغضب وثورته ، كما قال ﷺ ، ثم يُخطط لهم بعض البرامج والأنشطة المختلفة التى تمتص هذه المشاعر ، وتنفس تلك الإنفعالات ، مثل بعض الأنشطة الرياضية ، كالمصارعة ، والملاكمة، لإمتصاص طاقات العدوان وإفراغها ، ثم يُتيح لهم فرص التعبير عنها لفظيا ، وعندئذ يُنفسون عن وجدانهم فتخف ضغوطهم النفسية وترتاح نفوسهم ، وتخف توتراتهم، مهتدين فى ذلك ساء

فعل الرسول ﷺ عندما توفى ولده إبراهيم فقد أدمعت عيناه وأحس بمشاعر الحزن والألم على فراقه ، ولكنه تحكم فى هذه المشاعر السلبية وأفرغ تلك المشاعر بتعابير لفظية تُعبر عن هذه المشاعر ، وفى نفس الوقت علمنا كيف نتحكم فيها ونغير من نتائجها بما يعود على النفس بالراحة والطمأنينة دون انحراف وبون أى معصية لله .

ثم يلجأ الأخصائى الإجتماعى لتنمية إرادة المُشكّل أو المنحرف بالأسلوب الثانى وهو الحب ، وذلك عندما يُنشِطُ إرادتهم بالعلم الذى يمنحها القدرة على العمل، فيعلمهم كيف يتحاب الناس ، وكيف يتساوون جميعا فى الحقوق والواجبات ، جاعلا من نفسه القدوة الحسنة والمثال الطيب الذى يتعلمون منه ويقلدونه . فهو يُحبهم جميعا كما خلقهم الله لا كما يجب أن يكونوا ، فكلهم عنده سواسية ، لا يُفرّق بين أحد منهم ، ولا يتأثر بأى فوارق بينهم ، ويتقبلهم جميعا بغض النظر عن عيوبهم ، وبالرغم من انحرافهم واعوجاج سلوكهم إلا أنه يحترمهم ويحبهم ، وإن إحترامه لهم ومحبتة لهم لم تتأثر بالرغم من كل ذلك ، وهو فى كل هذا ينتظر منهم جزاءً أو شكورا ، وفى نفس الوقت يُظهر لهم عدم رضاه على هذا السلوك المنحرف ، ولكن بصورة طيبة لا تؤذى مشاعرهم ولا تجرح أحاسيسهم .

وليس معنى ذلك أنه يجب ألا يكره ولا ينفعل ، لا فهو كبقية البشر يُحب ويكره ، يسعد ويشقى ، يرضى ويغضب ، ولكن بالصورة التى يتحكم فيها فى مشاعره وإنفعالاته ، لأن التربية الإسلامية علمته كيف يتحكم فى تلك المشاعر وليس معنى ذلك أنه يكبت المشاعر الإنسانية ويمنعها ، ولكن يتحكم فيها ، ويُعبر

عنها بالإنفعالات والكلمات التي لا تؤذي أحد ولا تُغضب الله ، وفي نفس الوقت لديه القدرة على استغلال النتائج وتطويرها لصالح العلاج ، فهو يستغل نتائج الحب في اكتساب ثقة ومحبه هؤلاء المشكلين والمنحرفين ، ويُساعدهم على التخلص من مشاعر الكراهية ، ويُعلمهم كيف يفرغونها في اتجاهات أخرى حتى لا تنعكس على المجتمع في صورة سلوك منحرف ، وهكذا يُدرب إرادتهم ويقويها عن طريق ممارسة الحب ونبذ الكراهية والبغض ، وتعميم هذا الحب وتوسيع رقعته حتى يُعم كل الناس ، وينتشر في أنحاء المجتمع ، وبذلك ينجح في تقوية إنحرافهم وتعديل سلوكهم ، وعلاج مشكلاتهم بعد أن أحبهم وأحبوه ، وأحترمهم وأحترموه ، وتعاونوا معه في الوقاية والعلاج .

وعندما يظهر الأخصائى الإجتماعى بهذه الصورة أمام هؤلاء المنحرفين سيتعلمون منه الحب ويتأثرون بإرادته القوية ، فتقوى إرادتهم ، ويُصبحون قادرين على التحكم في مشاعر البغض والكراهية حتى لا تنصرف بارتكاب السلوك المنحرف . بل يعرفون كيف يوجهونها الوجهة التي تعود عليهم بالفائدة ، وهذا ما يسمى بتغيير الإتجاه ، وهو الأسلوب الثالث من أساليب تربية الإرادة ، أما بعض الغرائز التي لا يمكن إشباعها عن طريق تحويل الإتجاه ولا يمكن التحكم فيها ، فإن الأخصائى الاجتماعى يساعدهم على وقف سيرها وبمعناها عن طريق تربية النفس ومجاهدتها بألوان العبادات المختلفة مثل الصوم والصلاة والزكاة .

وهكذا يُعلمهم الأخصائى الإجتماعى أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل لنا سبيلا على غرائزنا من ناحية تكوينها وانبعاثاتها الطبيعية ، ولكن جعل لنا سلطانا عليها وضبطها وتوجيهها وتنظيم آثارها العملية .

كما يمكن للأخصائى تقوية الإرادة وتربيتها عن طريق الإيحاء الذى يُستمد من القوة الروحية مثل الإستعانة بالله ويقوته ، والإيمان به ، والإعتزاز بقدرته وقوته ، بإتباعه الطريق السوى ، وطريق الهدى والصلاح ، وهو طريق الإسلام ، وكثيرا ما ينجح الإيحاء فى المواقف التى لا تصلح فيها التصريح والتوجيه المباشر، وعندما يحاول الأخصائى تطبيق الإيحاء فى تقوية إرادة المنحرفين، فإنه يُساعدهم على أن يُفكروا بدقة وعناية فى العقبات والأسباب التى تمنع تحقيق ما يريدون ، وما هى المشاعر التى تحُول دون السير فى خطوات العلاج المناسبة ، ثم يساعد كلاً منهم على أن يستشعر فى نفسه القوة والقدرة على ممارسة تلك الأساليب العلاجية التى يقترحها عليه الأخصائى الاجتماعى ، وبذلك يتم تقويم الإنحراف وتعديل السلوك وعلاج المشكلات النفسية والاجتماعية .

أما أسلوب الترك والمنع والرشد فيما ترغبه النفس وتهواه ، فهو أسلوب آخر من أساليب تنمية الإرادة وتقويتها ، لأن المنحرف لو كان قادرا من البداية على منع نفسه من تحقيق أهوائها ، لما سار فى طريق الإنحراف ولما اتجه إلى الانحرافات السلوكية التى قام بارتكابها .

ولذلك فإن الأخصائى يقف بجانبه يُشجعه ويوجهه ، ويساعده ويعينه مستعينا بالحب والمودة والثقة فى مساعدتهم على رياضة النفس ومجاهدتها ، عن

طريق كفها ومنعها عما تُحبه وتشتهيه ، ويُدرّبه على ذلك بالصبر والتدريب لكي يُصبح قادراً على الإستغناء عن كثير من ملذاته ، متحكماً في كثير من غرائزه وشهواته ، ويستعين الأخصائى الإجتماعى فى ذلك بممارسة العبادات المختلفة مثل . الصوم ، والزكاة ، والصلاة ، فالصلاة تمنع الفحشاء والمنكر ، وتُساعد على كف الغرائز ومنع الشهوات . والزكاة تساعد على كف النفس ومنعها عن الشره فى الأكل والشرب والجنس ، وعندما تقوى الإرادة ويتم تنميتها يستطيع الأخصائى الإجتماعى تعديل السلوك وعلاج الإنحراف بل وتدعيم الشخصية .

وعندما تقوى الإرادة ننضج الشخصية وتنمو . ونمو الشخصية وتُضجها هو هدف العلاج الإسلامى ، حيث أن الشخصية الناضجة قادرة على مقاومة الإنحراف والإبتعاد عن السلوك المنحرف ، وتُصبح شخصية متوافقة تلتزم بأداب التربية الإسلامية . هناك أسلوب آخر لتقوية الإرادة وتربيتها وهو التأمل والتفكير فى الموضوعات المختلفة ، لأنها وسيلة لجلاء الحقائق وإدراك ما يترتب عليها من خير وشر ، لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية ، كانت أكثر جاذبية للإرادة . ودافعة إلى العمل بموجبها ، ولهذا دعا الإسلام إلى استمرار التأمل والتفكير فى دلائل الله وآياته فهى التى تهدي إلى الحق وتوجه إلى طريق الهدى والخير ، والأخصائى الإجتماعى يساعد المنحرفين على تحقيق ذلك من خلال المناسبات والرحلات والمشاهدات المختلفة التى يُوضح لهم فيها قدرة الله وعظمته . التى توحى لهم بالخير وإتباع طريق الهداية . فتقوى الإرادة وينجح العلاج الإسلامى فى تنمية النفس البشرية . حتى تُصبح قادرة على مجاهدة النفس ومنعها من الانحراف .

ويهدأ الأسلوب الإسلامى فى تنمية الإرادة يستطيع الأخصائى الاجتماعى مساعدة المُشكّلين والمنحرفين ، وتنمية شخصياتهم ، وتربية نفوسهم ، بما يُساعد على تقويم إنحرافهم وتعديل سلوكهم . ويصبحون قادرين على أداء أدوارهم الإجتماعية فى المجتمع كأفراد أسوياء ، بعد أن عرفوا على الطريق المستقيم الذى وجهتهم إليه التربية الإسلامية .

ب- التنمية النفسية بتنمية الضمير

ب- التنمية النفسية بتنمية الضمير

الضمير هو صوت ينبعث من أعماق الصدور، أمرًا بالخير أو ناهيا عن الشر وإن لم يَرج مثوبة، أو يخشى عقوبة.

والإمام الغزالي يرى أن الإنسان ليس مسئول عن مراقبة ضميره إذ هو لا يعرفه، إنما يُسال عن مراقبة ربه وخشيته في السر والعلانية، فليس هناك جارحة باطنة تدرك الخير والشر، وإن لم تتعرض لهما الشرائع، وإنما هناك ربا يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، والمرء عن خشيته مسئول(١).

أما ابن مسكويه فحين يتكلم في كتابه تهذيب الأخلاق عن النفس وقواها يذكر أن من بين هذه القوى قوة باطنة عاقلة، هي قبس النور. قذف بها الخالق إلى النفس البشرية ليكون لها هاديا ومرشدا.

وخلاصة ما يُمكن استخلاصه من تعريفات الضمير هي الرأي المختار الذي يأخذ من كل الآراء المتقدمة بطرف، وي طرح منها ما كان مثارًا للنقد والاعتراض، وذلك هو القول بأن الضمير قوة فطرية في كل إنسان.. وإن كان للتربية العقلية والأدبية دخلا في نموها وتحقيق كمالها، ولعل هذا ما أراه الإمام الغزالي عندما سماه أولا (نورا إلهيا) مما يمكن تفسيره بأنه قوة فطرية.

(١) د / زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، المكتبة الرحمانية بمصر، مصدر ملوق، ص ١٤٨.

وثانياً : معرفة ما يبيع لنا القول بأنه قابل كذلك للتأثير في شوهه ، وكمال حقيقته بعوامل التربية (١) .

إن التربية القرآنية إهتمت بتربية الضمير ، وتهذيب الشعور الأخلاقي ، ومن أمثلة هذه التربية قوله في التنفير من الغيبة ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (٢) وبذلك صور هذه الجريمة في أبعث صورة تتقزز منها النفوس ، وفي النهى عن الكبر والعجب والخيلاء ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ (٣) .
ومن تحذير في التسرع في الحكم على الآخرين قوله تعالى ﴿ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٤) .
فانظروا كيف حذرنا مقدما من عمل ما قد يترتب عليه تأنيب الضمير ووخزه .

ثم انظر كيف نَفَرْنَا الْقُرْآنَ مِنْ جَرِيْمَةِ الزَّانَا ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٥) .

(١) العفة والأخلاق ، مصدر سابق ص ٢٢٥ .
(٢) سورة الحجرات : ١٣ .
(٣) سورة الإسراء : ٣٧ .
(٤) سورة الحجرات ٦ .
(٥) سورة الإسراء ٣٢ .

وفى الحث على غض البصر وطهارة الذيل ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ (١) هذه قطرات من بحر، ففى القرآن الكريم أكثر من ألف موضوع يدعو إلى الفضيلة لما فيها من طهر وسمو وينهى فيها عن الرذيلة لما فيها من فحش وسقوط ، بغض النظر عن كل اعتبار آخر غير الإعتبار الأخلاقى .

هذا هو تقدير الأعمال بقيمتها الذاتية ، وذلك كله إيقاطا لضمائرننا ، وإنارة السبيل أمام أحكامنا الأدبية . حتى إذا قمنا بأى عمل بعد ذلك أستطعنا أن نحكم عليه وعلى أنفسنا (٢) فإذا جاء طبق هذه الخطوات المرسومة المستقيمة ، محققا لهنه المثل العليا ، شعرنا بالرضا والطمأنينة . وقرت أعيننا بهذا التوفيق ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٣) وإن جاء منحرفا عن هذا الطريق المستقيم نازلا من هذه الدرجة الرفيعة ، شعرنا بالندم ، وقاسينا الوخز الداخلى ، والتأنيب القلبى ﴿فَأَنبَأَكُمْ عَمَّا بِهِمْ﴾ (٤) ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (٥) .

(١) سورة النور ٣٠ .
 (٢) دراسات إسلامية ، مرجع سابق ص٧٢ .
 (٣) سورة العاشية ٩٠ .
 (٤) سورة آل عمران ١٥٢ .
 (٥) سورة التوبة ٢٠٦ .

وفى التحريض على مجازاة السيئة بالحسنة ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (١) .

فى كل هذه الأمثلة رأينا القرآن يُرَوِّدُ محكمة الضمير بالمصاييح التى تُبْرِزُ أمامها كل عمل من أعمالنا ، وتُصَوِّرُ ما فى طبيعته من حسن وجمال ، أو تشويه ودمامة ، أو خير وشر ، ثم رأيناه يعرض علينا هذه المحكمة فى تحضير قضاياها وفى إصدار أحكامها (٢) .

وبذلك يُصبح الضمير رقيباً وحسيباً على كل أفعالنا بعد أن رياه القرآن أحسن تربية وكونه الإسلام أحسن تكوين ، مستخدماً فى ذلك التنمية الخلقية التى تجعل فى تربية الضمير أسلوباً علاجياً فعلاً من أساليب التنمية النفسية ، وعندما تهتم التربية الإسلامية بالنفس البشرية ، فإنها تهدف إلى تعديل السلوك وتقويم الانحراف ، وعندما يتم تنمية الضمير ينعكس ذلك على تنمية الإرادة ، ويُصحح الإنسان ذا إرادة قوية وضمير حى والإرادة القوية والضمير الحى هما سبيل الصحة النفسية ، وهما السبيل للوقاية من الانحراف وعلاجه .

والأخصائى الاجتماعى الذى يستخدم العلاج الإسلامى فى علاج الانحراف يعرف جيداً أن القانون الأخلاقى قد طُبِعَ فى النفس الإنسانية منذ نشأتها وما سواها ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٣) غير أن هذا القانون الأخلاقى المطبوع فىنا ناقص وغير كاف وذلك لأن هناك مؤثرات كثيرة قد تكون بيئية أو وراثية ، أو

(١) سورة فصلت : ٣٤ .

(٢) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، ص ٧٤ .

(٣) سورة الشمس : آية ٤ .

مصالح مباشرة أو عادة من العادات المؤثرة . وكلها تلقى أنواعا من الظلال على نور البصيرة الفطرى ، كما أن الضمير فى بعض الأحيان قد يتأثر بدرجة كبيرة بتلك المؤثرات المختلفة ، عندئذ يقوم الأخصائى الإجتماعى بمحاولة إيقاظ تلك الضمائر، وإزالة الغشاوة عن النور الفطرى الذى أودعه الله فى الناس جميعاً ، وبذلك يظهر النور الفطرى وينتشر ، ويملاً جوانب النفس ، وهما ينتهز الأخصائى الإجتماعى تلك الفرصة الطيبة ليدعمها بتعاليم الدين الإسلامى ، ويقويها بوحى النور الإلهى "نور على نور" وعندئذ تصفوا النفس البشرية وتُصبح قادرة على التمييز بين أنواع السلوك المختلفة فتُميز بين الشر والخير والنافع والضار ، مثل تمييزها بين الجميل والقبيح ، كما تميز بين الفعل الحسن والفعل القبيح الذى يثير فيها مشاعر جديدة مختلفة تجعلها تمتدح بعض أنواع السلوك وتستهجى البعض الآخر ، وتبتعد عن رفقاء السوء ، وتقرب من رفقاء الإيمان ، وهنا نجد الدرغ الواقى من كل المشكلات ، والحماية الإلهية من جميع انحرافات .

وهكذا يستلج الأخصائى الاجتماعى تقويم المنحرفين وتعديل سلوكهم بعد أن أيقظ الضمير النائم ، وأنار البصيرة المظلمة وأصبح للإرادة قوة وفعالية تحفزها للعمل ، والأخصائى الاجتماعى يستعين فى تلك بشتى أساليب العلاج الإسلامى السابق ذكرها لتحقيق هذا الهدف ، وليس معنى ذلك أن الأخصائى يسعى إلى الأخلاق المثالية ويطلب الوصول إلى الكمال حيث أن الكمال لله وحده ، ولكنه يسعى إلى الأخلاق الحقيقية التى تضع الضمير الإنسانى فى وضع متوسط بين (المنالى) و(الواقعى) وتجعله يدمج بينهما ، وهذا الدمج يؤدى إلى تغيير مزدوج فى

كليهما بحيث يخفف من علياء المثالية ، ويرتفع بشأن الواقعية ، ليُصْبِحَ ضمير الإنسان متفاعلا مع الواقع بما يساعد على تحقيق وظائفه الإجتماعية ، وعندئذ يعيش الإنسان متفاعلا مع الواقع بما يساعد على تحقيق وظائفه الإجتماعية وعندئذ يعيش الإنسان مستريح النفس ، قوى الإرادة متزن الضمير .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى عن طريق التنمية النفسية يسترشد بالتربية القرآنية فى تنمية الضمير ، وتدريب الإرادة وتقويتها وذلك عن طريق العبادات المختلفة ، مثل تنمية الإرادة بالصوم والصلاة والزكاة ... إلخ من بقية العبادات .

فمثلا تنمية الإرادة بالصوم الذى يمكن التعبير عنه بهذه الكلمات (أذوق نفسك ألم الجوع والعطش بامتناعك عن الشراب والطعام خلال ساعات محددة) إنه أولا وقبل كل شئ نوع من التدريب المفروض على الإرادة الإنسانية حتى نحصل منها على قدر من الانتظام والثبات فى خضوعها للإرادة ولما كانت إرادتنا سيدة نفسها ، من حيث سيطرتها على البدن ، فهى نائبة الرئيس إن صح هذا التعبير أمام الخالق ، فإن مهمتها أن توفق بين هذين الأمرين بإتباع قدر أحدهما للآخر وخيرها يكمن فى التزامها بدور الوسيط الذى يعرف قدر نفسه ، وشرها فى أن تقلب هذا النظام الأسمى ، فتتردى إلى أسفل وتكون مستترقة للشهوات ، ومتدفقة فى الانحرافات .

وهكذا تلتقى نائبة الرئيس (أى الإرادة) بعمل أحد الأمرين متعارضين ، فى كل يوم مرتين : أحدهما بأن تكف ، والآخر بأن تعمل ، فإذا ما حرصت إرادتنا على القيام بتنفيذ هذين الأمرين فى مجالها الخاص ، ومن أن تعيد نفس التدريب خلال الشهر؟ فياله من ترويض لتلك الإرادة " (١) .

أما إيقاظ الضمير وتنميته فيستطيع الأخصائى الإجتماعى تحقيقه بتعليم المنحرفين الصلاة وتعودهم عليها ووجوده معهم باستمرار أثناءها وخاصة بالمسجد. ثم يقوم بتوضيح أهدافها وفوائدها . حتى يتوجهوا إلى الله بفكر خالص ، أليس فى توجه الإنسان المؤمن إلى الله بفكر خالص راحة كبرى لنفسه ؟ ويتم ذلك بلغة خاصة ومناجاة مخلص . تنير الفكر وتوقظ تلك الضمير إلى راحة النفس ، ثم يرجع البدن الذى تتجسد فيه الفكرة كإطار لتلك الفكرة وهو فى الوقت نفسه غذاء لها فيتعلم الإنسان أنه لا يصل إلى مكان المنجاة الخاصة إلا بعد اتخاذ عدة إجراءات شبيهة بما يتخذ المرء قبل زيارة شخصية رقيقة . فإننا بذلك نؤكد تأكيداً مضاعفاً شعورنا بالاحترام لهذا الاستقبال .

وعندما يتعلم المنحرف الصلاة ويُخلص فى أنائها سيستيقظ ضميره وتقوى إرادته ، وينجح الأخصائى الإجتماعى فى تقويم انحرافه وتعديل سلوكه وعلاج مشكلاته . لقد أهتم العلاج الإسلامى بالتنمية النفسية لما لها من تأثير بالغ على نفوس البشر ، ولقد قدمت الشريعة الإسلامية الكثير من الأساليب والوسائل العلاجية والوقائية فى آن واحد حتى تُحقق التربية الإسلامية أهدافها .

لقد وضع الله نظاماً للوقاية والعلاج من الانحرافات الإنسانية التي تصيب الإنسان بصفته فرداً قائماً بذاته أو باعتباره عضواً في المجتمع .

فقد وضع في كل إنسان عقلاً يفكر به تكون مهمته التمييز بين الطيب والخبث ، والإسلام يطلب من كل منا أن يُحْكَمَ عقله ويراجع نفسه في التكاليف والأوامر والنواهي وتكاد لا تخلو سورة بل صفحة من القرآن إلا ويطلب فيها القرآن بتحكيم العقل ، أو يلومنا على عدم تحكيمه ، ويصفنا بالعمى والصمم ، ويشبهنا بالدواب لعدم تحكيم العقل ، ولاسيما بعد نكر الآيات والبراهين العقلية الدالة على الحق ، وتعبيرات الكتاب الكريم تنطق بأن وظيفة العقل هي هداية الإنسان إلى الإيمان بالله عن طريق التفكير في آياته سبحانه ، والانتفاع بكل ما وهبه الله للإنسان من قوى في تجسيم هذا الإيمان ، وتحويله من مجرد تصديق نفسى إلى صورة حية ناطقة ، أى أعمال طيبة تعود عليه وعلى المجتمع الذى يعيش فيه بالخير* (١).

ومن يتقصى أثر الإيمان فى النفس البشرية يتعجب لما يراه من صنع هذا الإيمان ، فالإيمان يُظهر ويُنمى معانى الخير فيها ، ويُعالج ما يعترىها من علل أو يدعم بها من تغيير .. والإيمان نخيرة حية نابضة لا تفقد ، فهي تمد الإنسان بالقوة والصبر والطمأنينة والأمل فى معركة الحياة المليئة بالحركة والصراع بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل ، والإيمان نور وضيء إذا ابتعدت النفس عنه أو أبتعد عن النفس عاشت فى ظلام وانقطع عنها المدد الذى يمدّها بالأمن والأمان فتشل فيها قوى الخير وبالتالي تنعدم فيها عناصر الاستقرار ، فتكون النفس فريسة سهلة

(١) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر ملحق ص ٢٠١ .

للقلق والاضطراب ، وقد يمزقه اليأس ويتحكم فيه ربود الأفعال (١) فإن أصابه خير
أطمأن به ، وإن أصابته فتنة أنقلب على وجهه - قال الله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ
خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (٢) .

ومن يحيا في رحاب الإيمان يعيش حياته في طمأنينة واضحة ، فبدرك
سنة الله في خلقه ، وقضاء الله وقدرته ، فتطمئن بذلك نفسه لأنه يوقن أن ما
أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فلا يتسرب إلى نفسه الشك أو
القلق بل يسير في دنياه سعيدا مطمئنا .

ومن نلك يتضح لنا أن الإيمان فيه الوقاية والعلاج للنفس البشرية ، فهو
الذى يطهرها ويؤكدها ويبعث فيها الأمن والطمأنينة، والراحة والهناء ، والنور
والضياء ، فيجعلها آمنة مطمئنة ، راضية مرضية تعيش في سعادة وهناء .

(١) نفس المصدر ص ١٩٠ .
(٢) سورة الحج ١١٠ .

ج - التنمية النفسية بالرياضة النفس ومجاهدتها:

- ١- مجاهدة النفس بتفريغ الطاقة .
- ٢- مجاهدة النفس بشحن الفراغ .
- ٣- مجاهدة النفس بالتوبة .
- ٤- مجاهدة النفس بالرياضة النفسية.

ج- التنمية النفسية برياضة النفس ومجاهدتها

إن رياضة النفس ومجاهدتها هي محاولة للسيطرة عليها والتحكيم فيها بفعلها عن العادات المألوفة والشهوات المردولة ، واللذات المحرمة ، وتدريبها على مخالفة ما تهواه في كل وقت وحين ، فإذا انهمكت النفس في الشهوات وجب إحكام لجامها بالتقوى والخوف من الله ، وإذا توقفت عن القيام بالطاعات ساق الإنسان نفسه بسياج الخوف . فخالف هواها ومنع عنها حظوظها" (١) .

وررياضة النفس تستلزم المجاهدة والمراقبة والمحاسبة ، لأن الإنسان عندما يعلم أن الله يراقبه ويطلع على سره وجهره ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، عندئذ يحاسب نفسه ويضبط جنوحها ، ويلتزم طريق الحق ، فيعتدل السلوك ويُقَوِّم الانحراف . والنفس إذا تركت بدون تهذيب وتربية وتأديب ، وانحرفت عن الاستقامة وسارت في طريق الغواية ، واندفعت إلى النقائص ، وابتعدت عن السواء ، واعتبرت بشيطانها ، تزاхمت عليها الخواطر المذمومة . واستبد بها الكبرياء والتعاضم ، وغلبها الرياء والنفاق ، فقدور في فلك الأهواء ، وتتقافئها اعاصير القلق ، وينلك تجنح سفينة النفس في بحر متلاطم أمواجه ، لا ضاحلئ له ، فلا تُنكش من ضياعها إلا برحمة الله .

هذه الحالة السيئة للنفس البشرية وما يترتب عليها من شحنات المشاعر السلبية التي ظهرت في صورة القلق والاضطراب، والرعب والفرع ، والحدق والحسد والعدوان وغيرها من الأعراض التي يعانئها المنحرفون وتجعلهم في مسيس الحاجة إلى العون والعلاج ، وعندئذ يتقدم الأخصائئ بتطبيق مراحل الرياضة النفسية كما يلي :-

(١) السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ص ١٩١ .

مراحل الرياضية النفسية

أ- تفريغ الطاقة النفسية :

ومن وسائل الإسلام فى تربية الإنسان وفى علاجه تفريغ الشحنات المجتمعة فى نفسه وجسمه أولاً بأول ، وعدم اختزانها إلا حينما تتجمع للانطلاق ، وبذلك يبقى النفس من كثير من أنواع الانحراف المعروفة فى علم النفس ، فلا تنشأ فيها تلك العقد المدمرة ، والاضطرابات التى تبدد طاقتها ، ويعالجها كذلك بنفس الطريقة إذا حدثت - لسبب من أسباب - أن أصيبت بذلك الانحراف، ولا شئ يُعالج النفس أكثر من اطلاق شحناتها فى عمل إيجابى يُحقق كيان الإنسان ويُحقق إحساسه بذاته ، ويُفرغ كذلك الإفرازات المختزنة التى تسبب المرض والاضطراب (١) .

هذه العملية هى التى يسميها علم النفس بالإفراغ الوجدانى أو التنفيس الوجدانى لتلك المشاعر والأحاسيس التى تُمثل ضغوطاً داخلية على نفس الإنسان وتجعله يعانى من التوتر والقلق ، ذلك التوتر الذى يدفعه إلى الإدمان أو ارتكاب السلوك المنحرفة كأسلوب من أساليب تفريغ الطاقة ولكن بطريقة سلبية ، فإذا كان القلب ممتلئاً بالباطل اعتقاداً ومحبة ، لم يبق فيه للإعتقاد بالحق ومحبته موضعاً ، كما أن اللسان إذا اشتغل بالتكلم بما لا ينفع لن يتمكن صاحبه من النطق بما ينفع ، إلا إذا فرغ لسانه من النطق بالباطل ، وكذلك الجوارح إذا اشتغلت بغير الطاعة لا يمكن شغلها بالطاعة إلا إذا فرغها من ضدها ، فكذلك القلب المشغول بمحبه غير الله وإرادته والشوق إليه والأنس به لا يمكن شغله بمحبة الله وإرادته

(١) محمد قطب ، مصدر سابق ، ص ٢٥١ .

وحبه والشوق إلى لقاءه إلا بتفريغ من ذكر غيره وخدمته ، فإذا امتلأ القلب بال مخلوق والعلوم التي لا تنفع لم يبق فيها موضع للشغل بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه ، وسر ذلك أن إصغاء القلب كإصغاء الأذن ، فإذا أصغى لغير حديث الله لم يبق فيه ميل إلى محبته ، فإذا نطق القلب بغير ذكره لم يبق فيه محل للنطق بذكر اللسان (١) .

وهكذا نرى أن تحلية النفس بالإيجابيات مشروط بتخليتها من السلبيات والأضداد دائما متنافرة ، فلا يستوى الحسن مع القبيح ، ولا الطيب مع الخبيث ولا الخوف مع الأمن ، ولا الحب مع الكراهية ، ولا الحسد مع تمني الخير للآخرين . ولذلك يحرص الإسلام على إفراغ النفس من سلبياتها وتخليتها بأضدادها وبذلك يملأ فراغ النفس بما يُدعمها ويُطهرها ويُتقيها . فيتبدل ، الخوف أمنا والكراهية حبا ، وتتبدل النفس الأمارة بنفس لوامة تتقبل كل تعديل ، وتسعى لكل تغيير يعود عليها بالنجاح والفلاح ، وعندئذ تبدأ النفس في الرياضة والمجاهدة .

والعلاج الإسلامي يُفرغ هذه الطاقة ويُطلق شحنتها بطريقة إيجابية يحقق فيها الإنسان كيانه ، ويُحس بناته ... ، ومن أمثلة ما يلجأ إليه الإسلام من تفرغ طلاقة الكره - وهي طلاقة فطرية طبيعية - في كره الشيطان وإتباع الشيطان ، والشر الذي ينشئه الشيطان وأتباعه على وجه الأرض ، وبهذه الطريقة لا يتحول الكره إلى طاقة سامة مبعثرة لنشاط الإنسان ومسممة لكيانه ، وفي نفس الوقت يتحقق بها كيان إيجابي للفرد . حين يعمل في واقع الأرض لمقاومة الشر ، ويتدرب كيانه

(١) ابن قيم الجوزية . العوائد . دار الشعاع ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ ، ص ٤٣

وينضج بهذه المقاومة والجهاد ، وفوق ذلك يتحقق هدف إنساني أعلى ، بتنظيف المجتمع من الفساد والشر . وتتحقق الغاية من خلق الإنسان وتكريمه وتفضيله واستخلافه في الأرض .

والأخصائى الاجتماعى يحاول اتباع نفس الأسلوب ، مع المنحرفين ، فهم غالبا ما يعانون من مشاعر الكراهية لأنفسهم وللمجتمع . فتدفع بهم تلك المشاعر إلى الإنتقام من المجتمع بارتكاب أساليب السلوك المنحرف التى يسعى الأخصائى الاجتماعى إلى علاجها . ولذلك يعمل على تفريغ تلك الطاقة وتخليتها النفس من مشاعر الكراهية بتوجيهها للشيطان تارة ، ولأعداء الإسلام تارة أخرى ، ولكل منهم سلوك منحرف أو صفات مذمومة ، أو أخلاق سيئة ، وبذلك يتحررون من ضغوطها ، ويستريحون من توتراتها ، ويستبدلونها بألوان أخرى من المشاعر الإيجابية التى تُدعم نفوسهم فلا تنحرف ولا يصيبها الاضطراب .

وكما أن العلاج الإسلامى اهتم بتفريغ الطاقات والمشاعر السلبية مثل الكراهية ، فقد أهتم أيضا بتفريغ الطاقات والمشاعر الإيجابية مثل حب الله والكون والنفس والأحياء والخير بوجه عام ، لأن هذه المشاعر والطاقات إذا لم تفرغ أولاً بأول فسيكون لها آثار سلبية وعواقب سيئة لأنها ستتحول إلى طاقة سامة مدمرة لكيان الإنسان . وذلك عندما يحولها إلى نفسه أو إلى عشق الذات وعبادتها أو إلى طعام وشراب وجنس ولذائد . أو يُحولها إلى حب الفاسد من الناس . أو إلى أشياء وأفكار تتنافى مع قيم المجتمع .

ولكن الإسلام عندما يهتم بإفراغها أولا بأول فإنه يريد أن يضمن إفراغها فى منصرفها الصحيح . فتنحول إلى ثمرة جنية فى داخل النفس وفى واقع الحياة . تنصرف فى سبيل الخير ، وتُعطى الإنسان كيانا إيجابيا فاعلا وتُحقق غاية الله من خلق الناس .

وعلى هذا النحو ذاته يفرغ الإسلام الطاقة الحيوية فى الجهاد والزرع والإنتاج والتعمير ... تفرغا بنائيا إنشائيا ، يهدم الباطل ويزيل ما يحلفه من أنقاض . ويبنى فى مكانه الحق والعدل، ويُعالج بذلك بناء النفس فلا تنحرف ولا يصيبها الإضطراب (١) ولا يؤثر فيها رفاء سوء ، ولا يصيبها أى انحراف .

والأخصائى الاجتماعى الذى يستخدم العلاج الإسلامى لعلاج المشكلين والمنحرفين فإنه يسير على نفس المنهج ، ويهتدى بتربية الإسلام . ويعمل على إفراغ الطاقة ، والتنفيس عن المشاعر السلبية منها والإيجابية ، حتى لا تسبب ضغوطا نفسية وتوترات واضطرابات تدفع الفرد إلى إفراغها فى ألوان السلوك المنحرف الذى ينتهى له ، وكما أفرغ طاقة الكراهية وما شابهها من طاقات سلبية ، فإنه يفرغ الطاقة الإيجابية أيضا ، فمثلا طاقة الحب التى أفرغها الفرد فى حب المال وحب اللذات المختلفة وفى حب الجنس وأصدقاء سوء ، فإن الأخصائى الاجتماعى يساعده على إفراغ تلك الطاقات الإيجابية وتحويلها إلى مسارات إيجابية تعود عليه بالخير والنفع ، وتعود على المجتمع بالنماء والبناء . وفى سبيل ذلك يُهيئ لهم العديد من البرامج والأنشطة المختلفة التى يُفرغون فيها تلك

(١) محمد قطب ، مصدر سابق ، ص ٢٠٣

الطاقات ، ويكتسبون منها العلم أو حب هواية مفيدة ، أو حب عمل يتكسبون منه ، وبدلاً من حبه لنوعيات فاسدة من الناس يُعلمه كيف يحب النوعيات الطيبة من الناس بل يجعله يحب كل الناس ، فعن طريق ارتباطه بالمسجد يحب الله ويحب التقرب إليه ، وعبادته ، وُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ الصالحين الذين يلتقى بهم دائماً في مختلف الصلوات ، كما يُكُونُ جماعات من القرناء داخل المؤسسة من نوعيات مختارة يجد بينهم الصداقات المخلصة ، فيحبهم ويحبونه ، ويأخذ مكانته المناسبة بينهم ، فيشعر بلحترامه لنفسه ويُحَقِّقُ كِيَانَهُ ويُحَسُّ بذاته ، ويُشَبِّعُ حاجته إلى الإنتماء والحب .

إن الطريق الحق لعلاج النفس من أمراضها إنما يكمن في تخليّة النفس (إفراغ الطاقة) من نزعاتها الشهوانية وأهوائها النفسية وأوصافها المذمومة وتخليتها بالأوصاف الحموية ، وبذلك يمكن شحن فراغ النفس بعد تخليتها بمفاهيم إيجابية جديد ، ومبادئ سامية قيّمة ، حتى تتغير حال النفس وتتطبع بالمثل العليا، والأخلاق الفاضلة ، وتسلك طريقاً أكثر أمناً وأعظم أملاً .

ولن يتحقق ذلك إلا بالتربية السليمة ، والتنشئة على محبة الفضائل والتمسك بكمال الأخلاق ، والتبصر بطريق الله وبالصبر على المكاره وتحمل المفجئات ، والزهد فيما عند الناس ، والصبر على الإبتلاءات ، والرضا بالاختبارات وبهذا الطريق ، وحده تتفوق النفس على أنانيتها ، وتقوى على شيطانها ، فلا تنزع إلى الأهواء ، ولا تميل إلى الشهوات (١) .

(١) د. حسن الشرفلوى " نحو علم نفس إسلامي " مصدر مباح ، ص ١٠ .

ولكى تتم المرحلة الأولى من رياضة النفس ومجاهدتها وهي تخليبة النفس من عاداتها المذمومة ، فلا بد من الإعراف بالذنوب والعيوب وإخراج هذه العيوب إلى النور كما قال موسى لربه بعد قتل المصرى خطأ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ (١) ، وكما نادى يونس ربه فى الظلمات ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

وهكذا يكون الاعتراف بالذنوب ، وهكذا تتم التوبة الصادقة كما يعلمنا القرآن .

ولذلك عندما يلجأ الأخصائى الإجتماعى إلى استخدام العلاج الإسلامى فى تقويم إنحراف الأحداث ، فإنه يبدأ بتخليبة النفس من عاداتها المذمومة ومن طاقاتها ومشاعرها الضاغطة مثل الحقد والكراهية والخوف والحسد والعدوان كما يطلق طاقتها ومشاعرها الإيجابية مثل الحب والأمن والإنتماء ... إلخ .

ولكى يتمكن الأخصائى الاجتماعى من عملية إفراغ الطائفة وتخليبة النفس فلا بد أن يعتمد على علاقة قوية مبنية على المحبة الخالصة التى تُعتبر من أهم مبادئ الخدمة الإجتماعية الإسلامية . وعندما يتبادلان الحب ستظهر الثقة الكاملة بينهما ، وسيتعاملان معا على أسس الإحترام المتبادل والثقة والمحبة وعندئذ يسهل على الأخصائى الإجتماعى مساعدة العميل على الإعراف بكل ذنوبه وعيوبه وإظهارها إلى النور ، والتعبير عنها بحرية كاملة وبذلك يسهل التغيير ويتم

(١) سورة القصص . ١٦ .
(٢) سورة الانبياء . ٨٧ .

التبديل ويُصبح الأخصائى الإجتماعى قادرا على تطبيق باقى أساليب العلاج الإسلامى التالية .

ب- شغنى الفراغ النفسى :

كما يُفرغ الإسلام طاقة الجسم والنفس كلما تجمعت ، ولا يختزنها دون ضرورة ، فإنه فى الوقت ذاته يكره الفراغ فهو مُفسد للنفس ومفسد للطاقة المختزنة بلا ضرورة . وأول مفاسد الفراغ هو تبديد الطاقة الحيوية لماء الفراغ . ثم التعود على العادات الضارة التى يقوم بها الإنسان لماء الفراغ (١) . والإسلام حريص على تحلية النفس بالأوصاف الحموية كالمحبة والشفقة والرحمة والتسامح والإيثار ، والإخلاص والصدق فى مجاهدة النفس .

وكما اهتم العلاج الإسلامى بملاء الفراغ الذاتى للإنسان ، فقد اهتم أيضا بملى الفراغ البيئى لأن كلا منهما يكمل الآخر ، ولذلك أوضح لنا بعض أساليب ملى الفراغ عن طريق العبادة وذكر الله ، فى غفوة الطهيرة وفى الهاجرة ، والسمر البرئ مع الأهل والأصحاب ، وزيارة الأقارب والمعارف والأصدقاء والدعابة اللطيفة النظيفة ... إلى آخر من أنواع الترويح .

ولكن المهم ألا يوجد فى حياة الإنسان فراغ لا يشغله شئ ، أو فراغ يُشغله الشر والفساد والتفاهة ، وحين ألغى الإسلام عادات الجاهلية وأعيادها ومواسمها وطرائق حياتها ، لم يترك فراغا يتحير المسلمون فى ملئه أو يملأونه دون شعور منهم بما لا يُفيد . بل جعل لهم فى الحال عادات أخرى وأعياد ومواسم وطرائق حياة تملأ

(١) محمد قطب ، مصير سابق ، ص ٢٥٢ .

الفراغ ، كانوا يجتمعون على موائد الخمر والميسر ، أو لعبانة الأوثان ، أو لسماع الشعر الضال الذي لا يُعبر عن هدف إنساني ، فجمعهم إلى توجيهات ﷺ وبتزاورون لمثل ذلك . وكانوا يعيّنون في أعيادهم فسادا فالغايا وجعل بدلا منها أعيادا كريمة نظيفة زاخرة بالمعاني الطيبة والأهداف الرفيعة ، وهكذا لم يُعد في نفوس المؤمنين ولا في بيئتهم فراغ .

وتلك الوسيلة من أنجح الوسائل في تربية النفس ، خاصة حين تُمنع النفس - لتقويمها - من شتى رغائبها ، فالوسيلة الصحيحة لملء فراغ هذه الرغبة هي إيجاد نشاط جديد لهذه الرغبة ذاتها ، أو لرغبة سواها ، فالنفس من الداخل كلها وثيقة الاتصال(١).

وتحلية النفس بالتقوى ومخالفة الله ومحاسبتها وضبط جوانبها والزامها بطريق الحق وحفظها عن الآفات والنقائص بعد تخليتها من عيوبها ليست بالعملية السهلة على الأخصائى الإجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى فى تقويم الإنحراف ، إنها عملية متصلة بعيوبهم وذنوبهم وسلوكهم الإنحرافى ، والتي غالبا ما تكون مخجلة ومؤلة ، كثيرا ما قبلها المجتمع بالعقاب أو التأنيب والتوبيخ ، ولذلك يُظهِر المنحرف كثيرا من ألوان المقاومة لعلمية التخلّى والتحلية وعندئذ يبذل الاخصائى الإجتماعى مزيدا من الجهد لكى ينجح فى تكوين علاقة المحبة والمودة والاحترام المتبادل ، التى تُكسبه ثقة العميل . فينجح الأخصائى الإجتماعى فى تحطيم كل ألوان المقاومة ، ويبدأ فى عملية التغيير . فيشعر الحدث بالأمن

(١) محمد قطب ، مصدر سابق . ص ٢٥٢ .

والطمأنينة بدلا من الخوف والقلق ، وهنا ينتهز الأخصائى الإجتماعى الفرصة ليشحن فراغ النفس بعد تخليتها بمفاهيم إيجابية جديدة ، ومبادئ سامية قوية وعندئذ تحل التقوى والخوف من الله مكان الضلال والفساد والانحراف ، ويحل الحب مكان البغض والكراهية ، ويحل التعاون والإيجابية مكان العزلة والسلبية وتستبدل الذلة والمهانة بالعزة والكرامة ، وعندئذ تتغير حال النفس وتتطبع بالمثل العليا والأخلاق الفاضلة ، وتسلك طريقا أكثر أمنا وأعظم أملا وأكثر سعادة .

ج- التوبة :

التوبة هى الأسلوب الثالث من أساليب الرياضة النفسية بعد عملية إفراغ الطاقة وعملية ملئ الفراغ ، حيث يُصبح الإنسان فى حالة نفسية جيدة تجعله قابلا للتعديل والتغيير ، ومن هنا يبدأ العلاج الإسلامى عن طريق التوبة .

والتوبة هى ندم الإنسان على ما فات واستغفاره لذنوبه ، ثم الإستقامة على الطلعة من غير ميل إلى المعصية ومن غير عويدة إلى فعل الذنب نزولا على هواه وطلبا للطاعة لمولاه ، وهى ندم بالقلب ، واستغفار باللسان ، وترك بالجوارح على عدم العويدة للذنب (١) وعندئذ يُصبح ابؤها دواءً واستعمالها علاجاً ، وبوامها شفاء للقلوب ، فهى أسلوب علاجى مضمون يغفر به الله ذنوب من أساء ، وهى أسلوب وقائى مضمون يمنع الإنسان من العودة إلى الذنوب ، وهى رصيد مفتوح لمن يخطئ فيستغفر الله ، فيغفر له . لأن الله يغفر الذنوب جميعاً ولأن الله تعالى يحب

(١) فوزى سالم عبيدى " السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين " ، الكويت وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠٥ .

التواابين يحب التواابين ويحب المتطهرين ، وقد ورد فى الحديث الشريف " القائب حبيب الرحمن والقائب من الذنب كمن لا ذنب له " والنبي ﷺ كان يستغفر فى اليوم والليلة سبعين مرة ، وجاء فى معنى الحديث الشريف " من لزم الاستغفار يجعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب " .
وهكذا نرى أن العلاج الإسلامى للأفراد بدأ بتخلية النفس وإفراغها من عيوبها وذنوبها ، ثم تحليلتها وملاؤها فإفراغها ثم لجأ إلى الأسلوب الثالث وهو التوبة حتى تنقطع عن الماضى المظلم ، ويحل محله نور حاضر مضى ، أشرقت فيه شمس الكرامة الإنسانية ، وانتشرت فيه المحبة الربانية ، واتجه الإنسان إلى التقوى وامتلا قلبه بنور الإيمان .

والأخصائى الإجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى تقويم السلوك المنحرف ينتهز فرصة اعتراف المنحرف بذنوبه أثناء عملية التخلية والإفراغ ، يليها من عمليات شحن الفراغ وتحلية النفس بمفاهيم جديدة ومبادئ سامية ، فيقف بجانبه يشجعه تارة أخرى حتى يصبح فى أحسن حالاته النفسية ، وعندئذ يشجعه على التوبة وقطع الصلة بالماضى والندم على ما فات بما فيه من انحرافات ، والبعد عن المخالفات ، فتتشغل نفسه باللوم عند اقتراب السيئات ، حتى يصير اللوم عادة النفس وملازماً لها ، كلما اقترب من المخالفات أو أقررت السيئات ، وهنا تصل نفسه إلى منزلة رفيعة ، ومقام عظيم ، بفضل الله وتوفيقه ، وعندئذ تُسمى بالنفس اللوامة .

والنفس اللوامة تحمى صاحبها وتمنعه من الإنحراف ، ومن ذلك نرى أن التوبة هي الباب المفتوح لكافة الناس أجمعين ، وقد ورد ما معناها : لولم تذبوا وتستغفروا لذهب الله بكم ولأتى بغيركم يذنبون ويستغفر الله لهم .

د- الرياضة النفسية :

الرياضة النفسية هي مجاهدة للنفس المريضة بأضدادها ، وذلك برياضة النفس الشحيحة على الإنفاق . وإكراه النفس الشهوانية على التعفف ، ودفع النفس الأنانية إلى البذل والتضحية ، وحث النفس المختالة المزهوة على التواضع واستنهاض النفس الكسولة إلى العمل ... ويمعالجة الضد بال ضد تصل النفس إلى الوسط العدل .. وهو صراط الحكمة وهو حظ الصالحين من البشر .

ولا تتم المجاهدة إلا بالمراقبة . والمراقبة هي أن يعلم الإنسان أن ربه يطلع على سره وجهره . وأنه لن يصل إلى تمام المراقبة إلا بعد المحاسبة . والمحاسبة عملية ضبط لجنوح النفس والتزام لطريق الحق . وحفظها عن الآفات والنقائص (١) .

والأخصائي الإجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي مع الإحداث المنحرفين يُساعدهم على فطام أنفسهم عن كل سلوك منحرف ، وذلك عن طريق العلاج الإسلامي الذي يُعالجهم بالأضداد كما سبق ذكره وتعلمهم تقوى الله والخوف من عقابه ، ويقوى في نفوسهم الإيمان الذي يجعلهم يوقنون بأن الله مُطلع على سرهم وجهرهم ، وعندئذ يعرفون طريق الحق ، ويصلون إلى درجة المحاسبة

(١) حسن محمد الشرقاوي . سابق . ص ٢٥٢ .

وعندها يتم ضبط جنوح النفس ، ويتم علاج السلوك المنحرف ، عن طريق رياضة النفس ومجاهدتها .

وإذا استمرت هذه النفس في مجاهدتها وداومت على الرياضة النفسية ، وأصبحت نفساً لوامة من صفاتها المراقبة والمحاسبة ، وتمسكت بالقيم العليا وسارت في طريق الخير حتى تحظى بالدرجات العليا تستحق أن تلقب بالنفس الطائفة ، الطيبة لله ، فيلهمها الصالحات من الأعمال ويثبتها في مقام النفس الملهمة .

والنفس التي تمضى في سياحتها الروحية خالصة لله ، متوكله عليه راضية بما ترتزق به من خير وشر . وتجاهد جهاد الأبطال ، وتعمل عمل الأبرار ، وترضى بما أعطاه الله من نعم ورحمات ، غير معترضة على ما يختبرها به من امتحانات وابتلاءات متوكله عليه تعالى أبداً ، هذه النفس يرضى الله عنها وتستقر في مكان السكينة . فلا ترى غير الفضيلة مبدأً ، ولا تختار غير الخير بديلاً فامنها مع الحق ، وأملها في الله تعالى ، وهنا تُسمى بفضل الله النفس المطمئنة (١) . ويصدق فيها قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۙ ﴾ (٢) .

(١) د. حس محمد الشرقاوى ، مصدر سابق . ص ٤٨
(٢) سورة العنكبوت - آية ٢٧ : ٣٠

ولكى ينجح الأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى علاج المنحرفين عن طريق الرياضة النفسية فلا بد أن يعلمهم خلاصاً أربعة (١) هى :

١- معرفة الله تعالى :

ومعرفة الله لا تقتصر على القول والإقناع والاعتماد فحسب، بل الإيمان قولاً وفعلًا بأن لا إله إلا الله وهذا هو ذروة التوحيد .

فإذا كان الأخصائى الاجتماعى يعرف الله حق المعرفة فسيكون قدوة صالحة أمام هؤلاء المنحرفين ، وعندئذ يتالمصون صفاته ، ويتأثرون بتوجيهاته ، ويُنفذون تعليماته ، ويُصبح قادر على ضبط سلوكهم وتغيير نفوسهم ، ومن يعرف الله حق المعرفة لن ينحرف سلوكه بعد ذلك ، ولن يمشى فى طريق الإثم والمصيبة بعد أن وضع أقدامه على الطريق المستقيم .

٢- معرفة حق الله إبليس :

وتُصدق معرفة الإنسان لعنوا لله وعوده إبليس بمحاربه فى الظاهر والباطن ، ومخالفة كل خاطر شيطانى يهجم على النفس ، والتعود الدائم من وسوسة الشيطان وتهويله وأباطيله ، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (٢) . وما الإنصراف والإدمان إلا بعد أن وسوس الشيطان لهم . وزين لهم أنصرافهم ، وغرد بهم فأطاعوه ، فضلوا طريق الفلاح ، وأصبحوا فى مسبب الحاجة إلى من يُخلصهم من أنصرافهم ، ويُرجعهم عن غيهم .

(١) د . حنين محمد الشرقاوى . المصدر السابق . ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .
(٢) سورة البقرة : ٦ .

وهنا يتدخل الأخصائي الإجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى آخذاً يدهم إلى الطريق المستقيم ، يُوضح لهم الأعبى الشيطان ، ويُعلمهم كيف يحاربونه فى الظاهر والباطن ، وبذلك يتحررون من طاعته ويحاربونه فى الظاهر والباطن وبذلك يتحررون من طاعته ويحاربون وساوسه ، وخواطره ، بعد أن عرفوا أنه عدو الله وعدوهم ، كما يتحررون من شياطين الإنس وهم رفقاء السوء فيتجنبوهم ويتعدون عنهم ، وبذلك ينجون من مصيدة الانحراف ، ويفلتون من الأعبى الشيطان ، بعد أن صاروا محصنين بدرع الإيمان .

٣- مخرقة النفس الأمارة بالسوء :

لقد تعلمنا من القرآن الكريم أن النفس أمارة بالسوء من قوله تعالى : ﴿ وَمَا أْبْرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (١) وكل نفس لها أمانى تود تحقيقها ، وشهوات لا تشبع منها ، وآمال الدنيا لا تنتهى ، والمنحرفون قد أطاعوا نفسهم الأمارة بالسوء ولم يستطيعوا مجاهدتها ، لأنهم مازالوا ينقصهم النضج ومازالوا فى حاجة إلى التربية والتوجيه ، وعندما لم يجدوها ضلوا وانحرفوا ، فمنهم من أدمن ، ومنهم من ضاع وتشرذ ، وأصبحوا فى مسيس الحاجة إلى المساعدة والعلاج .

ولهذا فإن الأخصائى الإجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى يحاول إعادة تربيتهم ، واستكمال توجيههم ، عن طريق التربية الإسلامىة التى لم يتعلموها ولم يسمعوا عنها من قبل . والتربية الإسلامىة قادرة على إصلاح ما فسد ، وقادرة على تعليمهم كيف يجاهدون أنفسهم ، وكيف يعرفون أن النفس أمارة بالسوء ، وعندئذ

(١) سورة يوسف ٥٣٠

يخالفونها في كل ما تهوى ، ويجاهدونها ، بالتقوى والخوف من الله بعد أن عوفوا الله حق المعرفة ، وعرفوا عدوا الله وعدوهم إبليس ، الذى زين لهم انحرافهم ، وعرفوا النفس وشهواتها، وعندئذ اتجهوا إلى رياضتها ومجاهدتها .

٤- محاولة العمل لله تعالى :

إن الدين الإسلامى دين يقوم على علاقة متينة بين الإنسان وربه خالق الأكوان ، وهو دين يطالبنا بالأعمال الصالحة التى يرضاها الله ، يطالبنا أن نوجه كل سلوكنا وغرائزنا وحياتنا توجيهها يحقق الآداب والتشريعات الإلهية تحقيقا علميا ، ذلك أن الكائن البشرى مكون من روح وجسد ، والإسلام أقام توازنا بين الروح والجسد ، بين الواقع البشرى الإجتماعى ، والأهداف والتشريعات الإلهية المثالية ، فهو يترجم هذه الأهداف دائما إلى سلوك علمى يحقق متطلبات الطبيعة البشرية ومقتضيات الشريعة الإلهية فى وقت معا .

لذلك كان لأعمال الإنسان المكانة الأولى فى نجاته من عقاب الله يوم الحساب ... (١) وقد اهتم الإسلام بالعمل لأنه مجاهدة للنفس، وجهاد أكبر فى سبيل الله ، ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

(١) عبد الرحمن النحلوي مرجع سابق . ص ٢٢٦ .
(٢) سورة التوبة : ١٠٥ .

كما قال سبحانه وتعالى " ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ (١) ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٢) ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٣)
ولقد ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة للعمل والجهد تطبيقاً لمبادئ الإسلام وتحقيقاً لأحكامه .

والأخصائى الاجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى فى علاج المشكلين و المنحرفين ، يُعلمهم كيف يواجهون سلوكهم وأعمالهم وغرائزهم توجيهاً يُحقق الآداب الإلهية فى نجاة الإنسان من عقاب الله ، حيث أن العمل الإنسانى هو عمل لخير الدنيا والآخرة . ويحثهم على أن يعمل كل منهم لأخوته كأنه يموت غداً ، كما يعمل كل منهم لدنيا كأنه يعيش أبداً . وعندئذ يهجرون السلوك المنحرف . ويتوبون عن الإثم والمعصية . ويقبلون على عمل الخير ، ويكون عملهم خالصاً لله تعالى .
ولذلك يجب أن تكون الرياضة النفسية نابعة من المعرفة ... معرفة الله تعالى ، ومعرفة عدوه إبليس ، ومعرفة النفس الأمارة بالسوء ، ومعرفة العمل لله تعالى وهو الجهاد الأكبر فى سبيله .

والأخصائى الإجتماعى يحاول توصيل تلك المعارف للمشكلين والمنحرفين كمحاولة لوضع أقدامهم على بداية الطريق العملى للرياضة النفسية ، وفى تلك المحاولة يسعى إلى إكسابهم عشرة خصال - حددها بعض الأئمة يجب أن يتصف بها الإنسان الذى يريد أن يعرف طريقه إلى المجاهدة ورياضة النفس هى (٤) -

(١) سورة الانعام ١٢٢ .

(٢) سورة الكهف : ٣٠ .

(٣) سورة الزلزلة : ٧ .

(٤) الإمام عبد القادر الجيلانى : اللغنية ، ص ١٢٨ .

- ١- لا يحلف الإنسان صادقا ، ولا كاذبا ، حتى يعود لسانه على ذلك ﴿ وَلَا تَجْمَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُضْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .
- ٢- أن يتجنب الكذب هزلا ، أو جدا ، حتى لا يتمود على عادات سيئة ، " يقول الرسول ﷺ . يظل الرجل يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا " .
- ٣- أن يتجنب أن يخلف وعده إلا لسبب أو عذر فوق طاقته ، وذلك لأنه لا إيمان لمن لا أمانة له .
- ٤- ألا يؤذى أو يلعن أحد من الخلق ، لأن الذى يؤذى الآخرين يستمرئ ذلك فيتولد فى نفسه الحقد ، وحب الاعتداء ، والسخرية ، والاستهزاء ، وهذا باب الجنوح عن الحق والوقوع فى الضلال ﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾ (٢) .
- ٥- ألا يدعوا أحد من الناس وإن ظلمه ، ليبقى متطهرا ، تصديقا لقوله تعالى : ﴿ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٣) .
- ٦- أن لا يحكم على أحد بالشرك أو الكفر أو النفاق ، وذلك خوفا من الوقوع فى الإثم وعدم التعجب والنظر إلى نفسه بعين الكمال ، إذ ربما يكون الآخر عند الله أفضل منه .
- ٧- أن يتجنب النظر إلى شئ من المعاصى ، ظاهرا أو باطنا ، فإنها داهمتها الغواية ، فعليه التوجيه إلى الله وذكره تعالى ليساعده عند الشدة ولن يخذله الله تعالى ما دام فى طلبه . وعليه أن يمسك جوارحه عن الإقدام فى المعصية ، وهذا أفضل الأعمال ثوابا .

(١) سورة البقرة : ٢٢٤ .

(٢) سورة الحجرات : ١١ .

(٣) سورة فصلت : ٣٤ .

٨- أن يتجنب ما استطاع أن يُحَمِّلَ الناس حاجته ، صغيرة أم كبيرة ، لأن الاعتماد على الغير يُعَوِّد على الخمول ، والإهمال والتكاسل عن السعى ، وهذا باب التقاعس عن حقوق الله ، وعلى الإنسان أن يسد بابه .

٩- أن ينقطع نهائيا عن الطمع فى نفسه وفى الخلق ، وهذا سبيل الصدق مع الله ، إذن الطمع يولد كثرة الطلب للحظوظ ، والنفوس لا تشبع من الحظوظ مهما أعطيت . والتواضع هو أصل الطاعة كلها ، وهو كمال التقوى . فلا ينظر لأحد الناس إلا ويراه أفضل منه عند الله ، وإذا كان صغيرا يقول : هذا لم يعص الله وأنا قد عصيت فلا شك أنه خيرا منى ... وإن كان جاهلا يقول : هذا عصى الله بجهله ، وأنا أعصى الله بعلمى ، ولا أعرف بما يختم الله له وما يختم لى وإن كان كافرا قال : لا أدرى عسى أن يُسلم فيختم الله له بخير العمل ، وعسى أن أكفر فيختم الله لى بشر العمل (١) .

وإذا تمكن الأخصائى الاجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى من إكساب العملاء وخاصة المنحرفين تلك الصفات الطيبة فسينجح فى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم ، ولكى ينجح فى ذلك فلا بد أن يكون القدوة الحسنة أمامهم لأن ما يشعر به الأحداث ويتقمصونه من القدوة الحسنة أكثر تأثيرا وثباتا مما يسمعونه بالقول ، ولا بد من تدعيم القول بالفعل ، وبذلك يعينهم على رياضة النفس ومجاهدتها .

(١) الإمام عبد القادر الجيلانى " الغنية " ص ١٨٩ .

ويقول الإمام عبد القادر الجيلاني (١) : كلما جاهدت نفسك وغلبتها وقتلتها بسيف المخالفة ، أحياءها الله ، فإذا بها تنازعتك وتطلب منك اللذات والشهوات ، كي تعود إلى المجاهدة والمسابقة ليكتب الله لك ثوابا دائما ، وهو ما يقصد " الرسول ﷺ بقوله " رجصنا من الجهاد الأكبر " ، لأن النفس تداوم أبدا وتستمر إلى ما شاء الله في طلب الشهوات واللذات التي لا تشبع منها ... لذلك كانت الرياضة النفسية قمعاً دائماً ، وطريقاً واضحاً في معالجة أمراض القلب وبيابا إلى الصحة النفسية للخلاص من النقائص والآفات... (٢) .

ويبين لنا الإمام الغزالي (٣) الأسلوب الواجب اتباعه في رياضة النفس فيقول : " إن كل مولد يولد معتدلاً صحيح الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، ذلك لأنه عن طريق الاعتقاد والتربية والتعليم تكتسب الناس الفضائل والرائل ، فكما أن الجسم يحتاج في التربية إلى الغذاء لينمو ويكتمل ويقوى فكذلك النفس تُخلق ناقصة ولكنها قابلة للتكامل عن طريق التنمية .

(١) الإمام عبد القادر الجيلاني " فتوح الغيبة " ص ١٣٤ .

(٢) د . حنين محمد الشرفاوي مصدر سابق ص ٢٥٧ .

(٣) الإمام أبو حامد الغزالي " أحياء علوم الدين " ص ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، الجزء الثاني

التربية الإسلامية بالتنمية البدنية

العلاج الإسلامي بالتنمية البدنية

إن العلاج الإسلامي لا ينسى تنمية البدن وتقويته حتى توجه هذه الطاقات والقدرات نحو خير الإنسان وخير المجتمع ، وذلك استكمالاً للتنمية العقلية التي أولتها اهتمامها كبيراً حتى تُربى الإنسان المؤمن الناضج العقل ، السليم التفكير ، ولكن هل يصح العقل إذا إعتل الجسد ؟ بالطبع لن يحدث ذلك لأن العقل السليم في الجسم السليم .

وقد عنيت الشريعة الإسلامية بكل ما يكفل للإنسان قوة الجسم وقوة الروح ففرضت العبادات ، وفرضت التذكر والتدبر في ملكوت السموات والأرض وفرضت النظر والاعتبار بسنن الله في الكائنات ، وكان في ذلك كله تصفية الروح من أخلاق الهلع والجزع واليأس ، والجبن ، والشح ، وما إلى ذلك من الأخلاق الرديئة التي تُضَيِّعُ عزة النفس وسعادتها ، وجمال الروح وحلاوتها، وكل ما عرس فيها من الأخلاق الفاضلة من الصبر والمثابرة ، ورياء الجأش والتعاون وقوة الإيمان ، التي تدفع الإنسان إلى عمل الخير، والركون إلى جانب التقوى .

ولم تكن عناية الشريعة الإسلامية بما يحفظ على الإنسان قوة بدنه بأقل من عنايتها بما يحفظ عليه قوة روحه ، فقد أمرت بنظافة الجسم واعتدال المأكل والمشرب ، وطيب المسكن والهواء ، وأمرت بالملاج عند المرض وبالوقاية دفعا للمرض (١) .

ثم لم تُخلُ الإرشادات الواردة في أقوال الرسول ﷺ من لفت الأنظار إلى أنواع الرياضة البدنية ، وقد صح أن النبي ﷺ باشر بعض تلك الأنواع بنفسه .

ومن الأنواع التي لفت الرسول ﷺ القوة المأمور بإعدادها في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (٢) وقوله ﷺ (ألا إن القوة الرمي ، ألا أن القوة الرمي ، ألا أن القوة الرمي) وكرر النبي عبارته للترغيب في تعليم الرمي .

ثانياً : الرياضة بالسباحة : وقد روى أيضاً أنه ﷺ قال : "حق الولد على الوالد أن يُعلمه الكتابة والصباحة والرمي" ، فالكتابة طريق العلم والمعرفة والسباحة طريق الصحة والعافية ، والرمية طريق القوة والنصر على الأعداء .

ثالثاً : الرياضة بالعدو (الجرى) والمصارعة : كما أوصى الرسول ﷺ بالرمي والسباحة ، فقد ورد أن النبي ﷺ كان يرى أصحابه يتسابقون على الأقدام (الجرى) ويقرهم عليه ، وقد صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : "سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، ثم سابقني فسبقني ، فقال هذه بتلك ، فزوى أن النبي ﷺ صارع رجلاً معروفاً بالشدة فصرعه النبي ﷺ فقال عاودني في أخرى ، فصرعه النبي ﷺ في الثانية ، فقال عاودني ، فصرعه النبي ﷺ في الثالثة : فقال الرجل : ماذا أقول

(١) محمود شلتوت "من توجيهات الإسلام" مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ ، ص ١٦٩ .

(٢) سورة الأنفال : ٦٠ .

لأهلى؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشزت ، فماذا أقول فى الثالثة ؟ فقال النبى ﷺ ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك فنغرملك، خذ غنمك وانصرف .

وقال العلماء : دلت هذه الأحاديث على مشروعية المسابقة على الأرجل بين النساء والرجال المحارم ، كما دلت على أن المسابقة أو المصارعة لا تنافى الوقار والشرف والعلم والفضل وعلو السن ، فإن النبى ﷺ حينما سابق السيدة عائشة كان فوق سن الخمسين .

رابعًا : رياضة المبارزة : عن أبى هريرة أنه قال : بينما الحبشة يلعبون عند النبى ﷺ بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها ، فقال رسول الله ﷺ (سعهم يا عمر) وقد قال العلماء : اللعب بالحراب ، فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو.

خامسًا : الرياضة بركوب الخيل :- وقد نوه القرآن بالخيل وذكر رباطها فى إعداد القوة للجهد ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (١) .

وصح أن النبى ﷺ سبق بين الخيل وأعطى السابق ، وأنه كان يسابق على ناقته الحصباء وكانت لا تُسبق .

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .

"وهكذا تضافرت الروايات على إقرار هذه الأنواع للرياضة البدنية : الرمي والسباحة والمسابقة على الأقدام ، والمسابقة على الخيل والإبل ، والمصارعة ، واللعب بالحراب (الشيث) ، وإذا كانت هذه هي الآثار النبوية والتعاليم الإسلامية فيما يختص بالرياضة البدنية على سبيل الاستدلال والقصد فهناك ناحية أخرى قصد من تشريعها التعبد ، وقيام العبودية بحق الربوبية فى الطاعة والخضوع ، والخشوع والمراقبة ، ومع ذلك كان فيها من صور الرياضة البدنية ما هو جدير بأن يوجه الناس نحو الرياضة البدنية ، ويلفت أنظارهم إليها ، تلك الناحية هى الصلاة والتى فيها من أوضاع الرياضة البدنية ما له أثر فى تقويم العضلات ومران المفاصل وقوتها ، وفى وضع الصلاة على هذه الهيئات ، والحث على استكمالها إحياء قوى بما فى الرياضة البدنية من فوائد تعود على الإنسان فى جسمه وروحه بخيرها (١) .

وإذا كان وضع الرياضة البدنية فى نظر الإسلام بهذه المكانة وقد نظمت فى عهدنا الحاضر هذا التنظيم الذى نشاهده ، حتى سهل على الإنسان أن ينتفع بها وهو فى بيته ، فجدير بالإنسان أن يحرص عليها لنفسه ولأبنائه ، وأن يقوموا بها فى وقتها ، فينعموا بقوة الجسم . وقوة الروح ، وبذلك يأخذون إلى السعادة طريقا وإلى الخير سبيلا ، فالتنمية البدنية مكملة لأساليب التنمية الأخرى .

(١) من توجيهات الإسلام ، مصدر سابق ، ص ١٧٤ .

وعندما يحاول الأخصائى الإجتماعى تطبيق العلاج الإسلامى على المنحرفين والمشكلين ، فإنه يمارس معهم أساليب العلاج الإسلامى المتعددة ومنها التنمية البدنية .

وحيث أن العقل السليم فى الجسم السليم ، وأن سعادة الإنسان مرتبطة بقوة جسمه وروحه - لأن الحياة مليئة بالآلام والأمال فإن ضعيف الروح يقعد به الضعف الروحى عن تحمل الآلام والصبر عليها ، كما يقعد به عن الوصول إلى تحقيق الآمال، وكذلك ضعيف الجسم تخور قواه الجسمية عن مواصلة الحركة ، ويعجز عن الكفاح والمثابرة فى معركة الحياة ، التى تتطلب المزيد من القوة والصحة والعافية .
ولذلك يهتم الأخصائى الإجتماعى بالتنمية الجسمية للمشكلين والمنحرفين ويساعدهم على الإستمتاع بالرياضة البدنية لما لها من أثر عظيم فى تقوية الجسم ومناعته ، كما أن للرياضة الروحية أثر عظيم فى قوة الروح وعزيمتها .

وكما يستعين الأخصائى الإجتماعى بالخبراء والمختصين فى تنمية العقيدة الدينية والتنمية الصحية والنفسية ، فإنه يستعين أيضا بالخبراء والمختصين فى التربية الرياضية حتى يُدرب المشكلين والمنحرفين على أنواع الرياضة المختلفة بما يناسب أعمارهم وميولهم واستعدادهم - وينلك يشغل فراغهم فى أنشطة نافعة ومفيدة يصممها لتحقيق أهدافه العلاجية ، وعن طريقها يُعلم الأحداث الكثير من العادات الحليمة والإتجاهات الصالحة ، ويبث فيهم القيم المختلفة ، فمثلا يُعلمهم المحبة والمودة من خلال الألعاب الجماعية التى يقضون بها وقت فراغهم ، ويعلمهم

الأخلاق الطبية من خلال الروح الرياضية التي يجب أن يلتزموا بها أثناء تدريبهم ولعبهم ، وذلك يقوى أجسامهم ، وتشدق مزيمتهم ، وتنشط إرادتهم ، ليحبون بعضهم البعض ويندمجون في التفاعل مع المجتمع ، ويصبحون شخصيات متوافقة قادرة على أداء أدوارها ووظائفها الاجتماعية بنجاح .

وأخيرا نقول أن التربية والتنمية بأساليبها العلاجية التقليدية المستوردة من الغرب لم تؤتِ بالنتائج المطلوبة في علاج المشكلات الاجتماعية وخاصة مشكلات الطفولة ، ولذلك إتجهت الخدمة الاجتماعية إلى أساليب العلاج الإسلامي ، وأمنت بأنها طريق الخلاص وسبيل النجاة لكل مشكلات المجتمع ، كما أنها تشتمل على الوقاية والعلاج لما تعانيه الإنسانية اليوم من ضياع وهوان بسبب المبالغة في الإباحية ، والتحلل ، وانعدام الضوابط الأسرية في معاملة الأبناء ، إما بسبب الإفراط في الشهورات وانعدام ضوابط الفرائز ، إنعداماً أضاع ملايين الأطفال غير الشرعيين وإما بسبب الإفراط في ابتذال المرأة وجعلها تخالط الرجال في كل شىء ، فتتخذ أنوثتها ومكانتها الأولى في تربية الأطفال ، وكانت النتيجة تفكك الأسرة وضياع الطفولة وانحرافها ، كما ضاعت الأنوثة والرجولة معا ، وأصبحت الإنسانية تعيش في بؤس وشقاء (١) وانتشرت أنواع الانحرافات المختلفة وعلى

(١) أصول التربية الإسلامية د . عبد الرحمن الصاوي ، مصدر سابق ، ص ١١ .

رأسها الإدمان، وذلك كله يوضح حاجة المجتمع إلى التنمية والتربية الإسلامية التي تُكوِّن الشخصية وتنميتها، وتجعلها قادرة على تحمل مسؤولياتها في بناء المجتمع وإثاؤه . وكانت للتربية الغربية الحديثة نصيب لا يستهان به من المسؤولية عن هذا الضياع واليأس والشقاء ، لذلك لا يجد العاقل بُدًا من البحث عن بديل عنها . وكما فشلت التربية الحديثة في تربية الأجيال ، فشلت الخدمة الاجتماعية بأساليبها الغربية المستوردة في علاج مشكلاتهم ، ولم تجد بُدًا من البحث عن بديل عنها . وقد وجدت الخدمة الاجتماعية أن العلاج الإسلامي هو البديل الوحيد ، والدواء الناجح ، والبلسم الشافي لجميع أنواع المشكلات التي يُعاني منها المجتمع . والعلاج الإسلامي يقدم لنا منهجا تربويا متكاملًا ، وأسلوبا علاجيا صالحا لعلاج المشكلات فأمنت به . وسارت في طريقه . واهتدت بهديه ، واقتنعت بتأثيره وشمرت عن ساعديها ، وقامت تحاول تطبيقه . وتلك هي المحاولة الأولى لتطبيقه في علاج الأهلل المشكلين والمدمنين والمنحرفين .